

رواية بوليسية فنية حافلة بالمفاجآت

أرسين لوبين

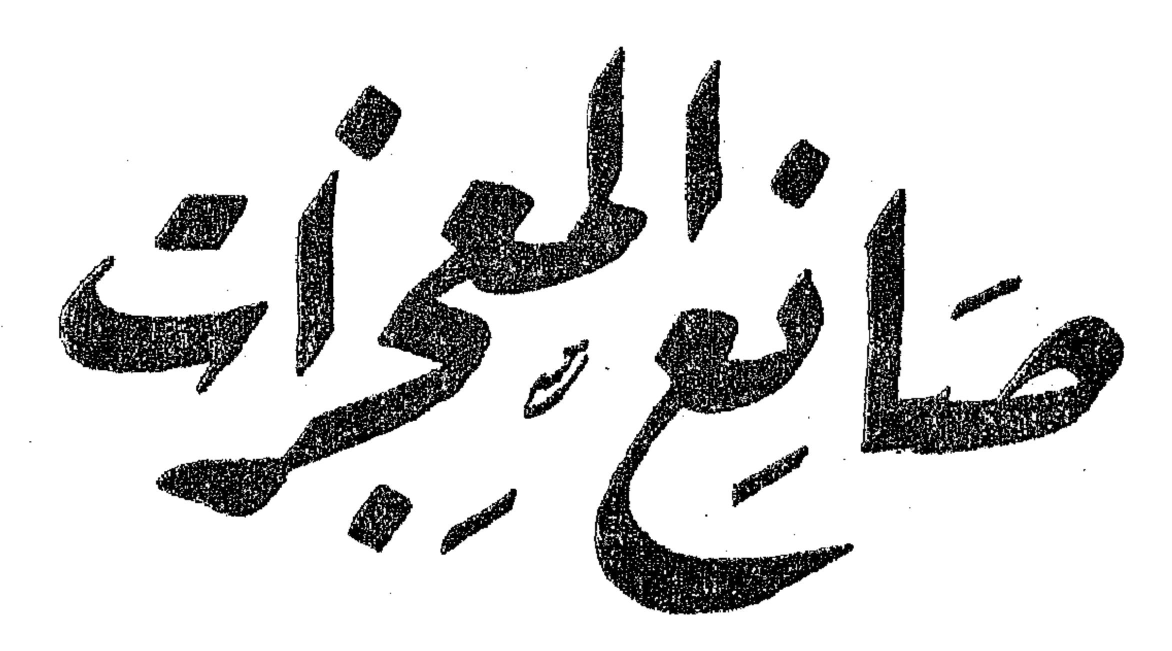
بقلم الكاتب الفرنسي الكبير

موريس لبلان

تعريب

للأستاذ شفيق أسعد فريد

مطبعة مجلة روايات الجيب



رواية بوليسية فذة حافلة بالمفاجآت

أرسين لوبين

بقلم الكاتب الفرنسي الكبير

موريس لبلان

تعريب

لاستاذ شفيق أسعد فريد

مطبعة مجلة روايات الجيب

القسم الاول

صانع المعجزات

— ١ —

كان مارتن ديل منصرفا بكل اهتمامه الى تأمل عقد اللؤلؤ النادر الذى تحلى به مسز ترافيز جيدها ، غير منتبه إلى الفتاة التى ظلت تراقبه باهتمام لعدة دقائق . ثم ما لبثت أن اقتربت منه وهمست : بديع ! ! اليس كذلك ؟

فحول ديل نظرة الاعجاب التى كان يرمق بها عقد مسز ترافيز الى الفتاة الرائعة الجمال التى أقبلت تحدثه فى بساطة الأطفال وبراءتهم .. وتفصح عيناها الزرقاوان عن الفتنة وخفة الروح . وظل يتأمل جيدها ومنكبيها البديعى التكوين برهة ثم أجاب : نعم .. بديع فى الواقع .. ولكن نظرتك تختلف عن نظرتى تمام الاختلاف .. فقد كنت أفكر فيما لو كان هذا العقد يزين جيدك يا آنسة آرليس ..

فقاطعته الفتاة ضاحكة : بل انك لم تكن تفكر فى شىء من ذلك يامستر ديل ، اذ كنت أراقبك عن كثب .. ويقول أبى اننى أستطيع قراءة الوجوه كما أقرأ كتابا مفتوحا .. فاذا كان هذا القول صحيحا ، فاكبر ظنى انك كنت تنظر الى العقد نظرة .. فقال ديل باسما : لعلها نظرة المتهكم ؟ !

— أوه ! كلا .. بل نظرة الشخص الذى يشتهى مال جاره . فوجم مارتن ديل هنيهة .. ثم حول عينيه صوب مسز ترافيز فرآها تراقص رجلا ضئيل الجسم شديد النحافة وقد بدت على وجه المرأة دلائل السعادة والزهو . وضحك ديل ضحكة رقيقة ثم قال : ان اشتهاء مال الغير غريزة أولية فى الانسان على ما أعتقد .. فلو قنع كل امرىء بما لديه لنضب معين لذة الحياة ، ولتجردت من تلك

المغريات التى تحبب الناس فى البقاء . . فالطمع هو المحرك الأول على العمل . . فالنشـــال ومدير المصرف يعملان تحت تأثير دافع واحد وهو الحصول على المال برغم تباين السبل التى يسلـكانها . فضحكت الفتاة بدورها وهتفت : دعك من الخطابة والشقشقة، فما كنا معنيين بالفلسفة والأخلاق. وعقد مسز دافيز هو مدار حديثنا أو قطب الرحى كما يقولون .

فقال ديل مجفلا : أحقا . . هل لك فى ان تمنحينى الرقصة المقبلة يا آنسة آرليس ؟ — لا أظن ذلك ياعزيزى فان حديثك يروقنى أكثر من رقصك . . اعنى حديثك فى الناحية التى طرقناها . . أتدرى ما الذى ذهب اليه ظنى عند ماتبينت النظرة التى كنت ترمق بها عقد مضيفتنا ؟ خيـل إلى انك تتمنى الحصول عليه . .

— احقا ؟ ! — خطر لى أن مثل هذا العقـد الثمين قد ينتزع اهتمام شخص أصاب شهرة واســعة فى السنوات الأخيرة واسهبت الصحف فى وصف مغامراته ومداعباته . . اعنى أرسين لوبين

فأجفل ديل قليـلا . . وحدق فى عينى الفتاة . ولـكنه لم يستطع أن يستشف من نظرتها معنى معينا وأخيرا غمغم : مما يؤسف له أن أرسين لوبين ليس بين المدعوين الليلة . . ان الحفلة مقبضة ، ولاشك أن وجود أرسين لوبين كان يكسبها شيئا من الحركة . . والانتعاش .

فارتعشت شفتا الفتاة ، وجالت ببصرها فى ردهة المرقص . ثم قالت :

— هون عليك يا مستر ديل . . قد يكون لوبين بيننا فى هذه اللحظة اليس مجرد هذا الخيال يبعث فى نفسك الحماس والانتعاش ! ! ألم يبلغك انه عثل شخصيتين مختلفتين مثل الدكتور جيكل ومستر هايد ؟ انه لما يرسل الفزع فى نفسى أن واحداً من الشباب المتلئين حيـوية ونشاطا الذين تراهم حولك الليـلة قد يكون هو نفسه أرسين لوبين . . الا تعلم يا مستر ديل أن صورة هذا اللص الخطير ماثلة أمام عينى حتى انى لاستطيع أن أصفـه لك بدقة ؟ فاضطرب ديل قليلا ، ولـكنه بقى على هدوئه وقال بصوت متزن : احقا ؟ ! ترى ما هيئته ؟

فقالت الفتاة ، وهى تنظر اليه بحدة من بين جفونها نصف المطبقة :

انه قبـل كل شيء شاب مغرور ، يزهو بمغامراته غير المشروعة . . ولو انى اعتقد انه لم يخرج عن طبيعة اللصوص فى خيلائهم واعتدادهم . . ثم انه محب للجمعيات الخيرية — هذا أمر معروف للجميع . . فقـد جرت عادته أن يترك خلفه بطاقة يقرر فيها لضحيته انه سيعيد اليه المسروقات اذا دفع عشرة فى المائة من ثمنها الى احدى الجمعيات الخيرية . . لـكن حدثيني باخلاق هذا اللص الجرىء ! !

فابتسمت الفتاة ابتسامة خفيفة ، وأردفت وهى تطيل النظر إلى وجهه :

— سأصفه أولا . . انه شاب طويل القامة ، ممتـلىء الجسم ، قوى العضلات ، ولو انه ليس من أبطال الرياضـة . . وما أشك فى انه كان يلاقى نجاحا كبيرا لو انه سلك سـبيل الشرف والاستقامة . ولـكنه آثر سلوك طريق شائـكة . . ولا اكتمك انه ينـتزع اعجاب الجماهير ، ولـكنه اعجاب مشوب بالخوف والازدراء . . ان النساء يعشقنه . ولـكنه ليس بالشخص الذى يقيم لهن وزنا . . وكثيرا ما وقعن فرائس سهلة بين براثنه هل تود أن استمر يا مستر ديل ؟ فقال ديل بصوت خافت يشف عن القلق : حقا ، لقد اثرت اهتمامى

فعادت الآنسة آرليس تقول : واعتقد انه أسمر البشرة قليـلا . نفاذ النـظرات . . واذا ابتسم ، كان جذابا قوى التأثير ، أما انفـه فبـارز قليلا ، دقيق الفم ، مستدير الذقن

فضحك ديل ، وصاح : ان لك خيالا رائعاً يا آنسـة ، ومع ذلك فانا أرى انك تظلمين ارسين لوبين حين تقولين انه شخص مسـتهتر . . أفلا تعتقدين ان السرقة عمل أشق من كافة الأعمال ؟

— ان سرقة اموال الغير وجواهرهم ، والسطو على منازلهم لا تعتـبر عملا ياعزيزى ! — ولـكن السرقة عمل محفوف باشد المخاطر ياعزيزتى ، ثم ان ارسين لوبين لا يستأثر بشىء لنفسه . فهو يعيد المسروقات الى أصحابها بعد أن يتبرعوا بعشر قيمتها لاحدى الجمعيات الخيرية . وحديثك هذا يذكرنى باشاعة استفاضت عنه مؤداها أن هذا التعس زج فى السجن منذ أعوام طويلة بتهمة هو منها برىء . فاوغر ذلك صدره على البوليس . .

وحفزه على مخالفة القانون ليجعل من رجاله أضحوكة فى أعين الشعب

فحدقت الفتاة فى وجهه . وغمغمت بعد قليل :

— هذا أمر يدعو الى الاهتمام ، ولكنها مجرد اشاعة على كل حال مهما يكن من شيء ، فانه يبدوان من الطبيعى أن توليه كل هذه العواطف الجياشة فسأل ديل بلهفة : ولماذا ؟ .

فقلبت الفتاة شفتها . وأجابت : لقد هاجم ارسين لوبين كل أفراد مجتمعنا ماعداك . فلا عجب اذن أن تدافع عنه .

فعض ديل على شفته . . واستولى عليه القلق . وعندئذ صاحت به الفتاة : هلم الآن الى الرقص يامستر ديل . أكبر ظنى ان ارسين لوبين لن يزعج مضيفتنا الليلة ! .

— ٣ —

ألقى مارتن ديل بنفسه متهالكا فوق مقعد وثير . ونظر الى الساعة الموضوعة فوق المكتب فاذا هى قد قاربت الثالثة صباحا .

كان قد عاد الى منزله فى التو بعد أن انتهت حفلة الرقص فى منزل آل ترافيز . ولكنه لم يكن مرحا كعادته . فان ارتياب الآنسة آرلين فيه أثار قلقه ، وهو ارتياب تبينه قطعاً حين ذكرت له أوصاف ارسين لوبين بما يطابق أوصافه هو كل المطابقة

غمغم موجها الحديث الى صورة جميلة لفينوس موضوعة فى أطار من الذهب الخالص فوق مكتبه : ترى ماذا كانت تعنى ؟ هل كانت ترمى الى تأنيبى ؟ أم انها كانت مدفوعة الى هذا التصريح بشك ساورها فى أمرى ، أم لعلها كانت ترمى الى افزاعى ، فأفضح نفسى ؟ من المستحيل أن تكون لديها أدلة مباشرة على اننى ارسين لوبين . فربما كان مصدر ريبتها أننى واحد من قلائل ممن لم يقتحم ارسين لوبين دورهم . بيد أن هذه الغلطة يمكن اصلاحها . ففى ليلة من تلك الليالى المعتمة سأقتحم منزلى وأسرق بعض تحفى فيعلم الجميع أننى لم أسلم من اعتداء ارسين لوبين . وبذلك يطمئنون وتذهب شكوكهم بدداً ، وخصوصا فيرا آرليس

ابتهج مارتن ديل بالفكرة ، فقد كانت جديدة طريفة . فضلا عن أنها

ذات اثر بعيد من الناحية العملية . لكن سرعان ما أجهم وجهه . ذلك أنه لم يستطع أن يتخلص من ذلك الاحساس الغامض الذى كان يقلقه ، والذى كان مبعثه ان ملاحظات فيرا آرليس لم تكن عفو الساعة ، أو مجرد تكهنات ، وإنما ترتكز على أسباب ودوافع قوية تبلغ حد اليقين .

كان ارسين لوبين قد سطا على منزل آل آرليس منذ عدة أيام ، وسرق مجموعة ممتازة من أنفس الجواهر وأثمنها ، وتولى البوليس كالعادة تحقيق الحادث ، ولم يستطع أن يصل الى نتيجة مجدية كشأنه أبدا .. واضطر السير مالكولم آرليس ان يتبرع بعشرة فى المائة من قيمة المسروقات الى إحدى الجمعيات ، وفى اليوم التالى تلقى طرداً به الجواهر المسروقة ، وبذلك انتهى الحادث فى اعتقاد ارسين لوبين وأما الليلة ، فقد تغير رأيه ، إذ أثار حديث فيرا آرليس فى نفسه القلق والحيرة

وراح يتساءل : هل من الممكن أن يكون قد ارتكب هفوة فضحت أمره ، وأرشدت الفتاة الى شخصيته؟! كان واثقا انه لم يفعل شيئا من هذا . فهو دائم الحرص على ألا يترك خلفه مايَنم على شخصيّته الحقيقية .. ومع ذلك فقد خيل اليه ان فيرا كانت تتحدث اليه بلهجة الوثق مما يقول .. فلعلها إذن استطاعت ان تظفر بدليل غاب عنه التحرز منه

وثم أمر آخر كان يشغل باله.. ذلك انه احتفظ لنفسه بدبوس أعجبه منظره لا لأنه ثمين . . ولكن لأنه تحفة فنية قيمة . . ثم انه كان يعلم ان السير مالكولم لن يأبه لضياع هـذا الدبوس العادى مادام قد استعاد مجموعة جواهره النفيسة . . بيد أن حديث فيرا آرليس والوخز الذى تخلله جعله يتمنى من كل قلبه لو أعاد هذا الدبوس لئلا يكون هو الحلقة المفقودة بين ارسين لوبين ومارتن ديل .. وكأنما أمضه التفكير فى هـذه الناحية ، فأشعل لفافة تبغ . . وراح يحدق فى فضاء الغرفة . وفجأة .. تناهى الى سمعه الحاد أصوات خافتة صادرة من ناحية باب المنزل العام . . فنظر الى الساعة الموضوعة فوق المكتب ، فاذا بها قد جاوزت النصف بعد الثالثة فعجب لزائر يأتى فى مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل

ومضت عدة دقائق ، وهو يصيخ السمع . . وما لبث ان سمع طرقا على

باب غرفة المكتب .. ثم دخل خادمه الأمين بلكنز مقطب الجبين وقال :

— لقد جاءت سيدة لمقابلتك ياسيدى .. أردت ان أعرف اسمها فرفضت .. وحاولت ان أصرفها فأبت حتى تراك .. انها تصر على ذلك ياسيدى ، فماذا أفعل ؟ فهز ديل كتفيه استخفافا .. وقال :

— قل لها أن تذهب الى جهنم — لقد قلت ، ولكن فى عبارة مؤدبة — إذن قل لها اننى لم أعد الى المنزل بعد

— قلت هــذا أيضا ياسيدى .. ولكنها قالت انها كانت معك منذ أقل من ساعة .. وافترقتما عند باب آل ترافرز

فألقى ديل بلفافة التبغ فجأة فى المدفأة ... وصاح :

— آه ! ! إذن إذهب بها الى غرفة الجلوس وسا بى على أثرك

فعجب الخادم للنشاط الذى بدا فجأة على سيده .. ولكن لم يسعه غير الاذعان على كره منه وما كاد يخــرج حتى قال لوبين لنفسه :

— يخيل الى أن فيرا الجميلة تتعجل الحوادث ..

وما كاد يدخل غرفة الجلوس وينحنى أمام الفتاة حتى تلاشت عن وجهه دلائل القلق والحيرة التى أثقلته طويلا .. وبدا هادئا كل الهدوء ..

وكانت الفتاة ترتدى معطفاً من الصــوف الأزرق .. ورمقته بنظرة فاحصة .. وقالت باسمة : هل أدهشتك رؤيتى يا مستر ديل ؟ الحق أنى آثرت الا احدث شغبا ابان حفلة مسز ترافرز

فرفع ديل حاجبيه دهشاً .. وقال متسائلا : شغب ؟

فأومأت برأسها ، وأجابت : نعم .. ومن ثم قررت أن استأنف الحديث بعد الحفلة .. وعدت الى المنزل مع أبى وأخى.. ولما تحققت من أن جميع من فى الدار قد آووا الى مضاجعهم ، اتصلت بجراج قريب ، واستدعيت سيارة تاكسى ، وجئت لمقابلتك .. ولو علمت أمى بهــذه الزيارة المتأخرة لثارت ثائرتها فالتزم ديل الصمت .. واستطردت فيرا :

ان الوقت غير لائق للزيارة ، ولكننى لم استطع الانتظار .. فقد كان حديثنا شائقا جداً الى درجة أنى كنت اتحرق لهفة لانهائه .. والآن لنستأنفه من حيث انقطع .. آه !! كنا نتحدث عن ارسين لوبين !!

وحدت البصر الى وجهه .. ومع ان الهدوء ورباطة الجأش كانا باديين عليها . . غير أن حركات قدميها كانت تنم عن الانفعال والقلق الشديد . .

وقال ديل باسما : لقد رسمت للوبين صورة واضحة حتى لقد استطعت ان اتخيله وكأنه واقف أمامي — لا عجب في ذلك .. وقد كنا وجهاً لوجه ورحت اصفه وأنا اتحدث اليه .. ألا ترى أنه من الخير أن نرفع القناع الآن يا مستر ديل ونتحدث بصراحة ؟ ! لقد علمت الليلة أنك ارسين لوبين

فتظاهر ديل بالابتهاج ، وضحك .. وقال : لا شك أنك تهزلين ! هل تلهمك ساعات المساء المتأخرة بمثل هذه الملح الشاذة يا آنسة ؟ !

فبدت سمات الرزانة على وجه الفتاة . . وقالت :

— لست أهزل يامستر ديل . . انني أعلم أنك ارسين لوبين . . قل انها بصيرة المرأة . . أو ماشئت . . ولكنني اعرف ان هذه هي الحقيقة التي لاريب فيها . . لقد وقعت على هذا الاكتشاف مصادفة عندما كنت تطيل النظر الى عقد مسز ترافيز . وتذكرت أنك أحد الأشخاص القلائل الذين نجوا من مضايقات ارسين لوبين . بالطبع لم يكن هذا الخاطر هاما في حد ذاته ولكنني عزمت على أن أضع ريبتي موضع التجربة ، وأخذتك على حين غرة عند ما القيت اليك بملاحظتي الأولى . . ووجدت في اضطرابك الخفيف الدليل الذي كنت أنشده يامستر ديل .

فضحك ديل مرة أخرى . وقال : شد مايفزعني أن تكوني بين المحلفين حين محاكمتي يا آنسة . ليخيل الى أنك لا تحجمين عن ارسال الانسان الى المشنقة لأنه أطال النظر الى عقد ثمين ، ولأنه انتفض حين اتهم بانه يحيا حياة مزدوجة . هل أنت جادة في قولك يا آنسة آرليس ؟

— نعم . . انني أعني كل كلمة أنطق بها .

فتقلصت شفتا ديل . ولكنه شعر بنوع من الارتياح . ذلك لأنه أيقن ان الفتاة لاتملك دليلا واحداً على اتهامه ، وانما بنته على الحدس والريبة .

وقال باسما : لنفرض ، وذلك على سبيل التسلية فقط ، انني ارسين لوبين فماذا تعتزمين أن تفعلي ؟ — آه ! . في هذه الحالة نستطيع أن نتفاهم يامسيو ارسين لوبين . أنت تعلم طبعا أن منزلنا اقتحم يوم الخميس

الماضى ، وسرقت منه مجموعة جواهر أبى .

ـــ هذا ما قرأت فى الصحف .

ـــ لقد أعدت الجواهر بعد سرقتها بيومين عندما أذعن أبى لمطالبك ، ولكنك احتفظت لنفسك بدبوس أثرى ، لايقارن بالجواهر الأخرى التى سرقتها من الخزانة . أما لماذا لم تعده الى أبى فمالم أستطع تعليله . اللهم الا . .

فحدق ديل فى وجهها باهتمام ، وسأل : اللهم الا ماذا ؟

فقالت وهى تنظر اليه بانعام : اللهم الا إذا كنت تعرف شيئاً عن . . عن تاريخ الدبوس . وأنا لا أفهم كيف استطعت أن تلم بقصته ، ومع ذلك فليس هناك من سبب وجيه يحملك على الاحتفاظ به

فغمغم ديل مأخوذا : ياله من لغز معقد ! . لكن لاتنسى ياعزيزتى أننى لم أعترف بعد بانى ارسين لوبين . اننا نتحدث عن افتراض فحسب . فماذا بشأن الدبوس ؟ فتلاشت الابتسامة عن شفتى الفتاة وقالت بلهجة صارمة : يجب أن تعيد إلى الدبوس فى التو واللحظة يامستر ديل

ـــ واذا قلت لك انه ليس فى حوزتى ؟ .

فتطلعت الى ساعتها اليدوية . وقالت بصوت رصين :

ـــ اذا لم تعد إلى الدبوس فى غضون ثلاث دقائق فسأستدعى البوليس ليجرى تفتيش المنزل .. فتذكر انه إذا عثر البوليس على الدبوس هنا ، فسيكون فى هذا ، الدليل القاطع على انك ارسين لوبين.

لاريب ان الفتاة كانت تتوقع أن يتأثر ديل من هذا التهديد ، ولكنها ما لبثت أن أدركت انها اخطأت الظن ، ذلك ان مارتن ديل ظل على هدوئه وجموده .. وقال ببرود : فى استطاعتك ان تجربى هذه العملية ياعزيزتى . . ولكن من المرجح أن يقدم البوليس على تفتيش مسكنى قبل أن يحصل على التصريح الذى يخوله هذا العمل .. وحتى لو استطاع فانه لن يجد الدبوس الذى تتحدثين عنه هنا . فلزمت الفتاة الصمت ، وهى لاتكف عن التحديق فى وجهه .. وما لبثت ان قالت : لعلك تعتقد اننى أسعى الى (بلفك) ؟ فهز كتفيه بغير اكتراث . ثم أشار الى باب الغرفة المفتوح .. وقال : ان التليفون موضوع على منضدة صغيرة على يمين هذا

الباب يا آنسة . . ولن يكلفك الاتصال باسكتلانديارد أكثر من ان تنطق الى عاملة التليفون بكلمة « بوليس » .

— إذن فلا اعتراض لديك على تفتيش منزلك ؟

— كلا مطلقا . . بل انى على استعداد لأن أسمح للبوليس بتفتيش منزلى قبل الحصول على التصريح الذى يخوله هذا الحق .

فعضت الفتاة على شفتيها . . وأدرك ديل انه ربح الجولة الأولى فى معركة الذكاء . . وسعة الحيلة ، ولكنه رأى فى عينيها بريقا قرأ فيه اعتزامها تغيير خطة الهجوم التى اتبعتها . قالت بانفعال : أكبر الظن انك احتفظت به فى مكان لايصل اليه رجال البوليس . . اصغ إلى يامستر ديل ، ان للدبوس اهمية عظمى — انها مسألة حياة أو موت . . وقد قررت الا أغادر هذا المنزل بدونه وفجأة . . وقبل أن يتمكن ديل من الرد عليها ، فتحت حقيبتها اليدوية ، وتناولت منها مسدسا أوتوماتيكيا صوبته إلى صدره . . فغمغم مشدوها : هل الأمر خطير إلى هذا الحد ؟

وعقد ساعديه فوق صدره . . وراح ينظر إلى فوهة المسدس فى هدوء ورزانة . أجابت الفتاة : بل من الخطورة بحيث انى لن أتردد فى اطلاق النار عليك ان لم تسلمنى الدبوس . .

نطقت الفتاة بهذه العبارة بصوت متهدج قليلا . . ولكنها كانت تقبض على المسدس بيد ثابتة . . ثم استطردت : الدبوس يامستر ديل وإلا . .

فقال ديل مأخوذا . الحق إنى لا أفهمك ياآنسة . . هل تهددينى بالموت من أجل دبوس عادى ؟ فأجابت بلهجة رنانة تنم عن انفعالها ولهفتها : قلت لك انها مسألة حياة أو موت

ثم نظرت الى ساعتها اليدوية ، واستطردت : ان الساعة الآن الرابعة الا خمس دقائق . . فاذا دقت الساعة الرابعة ، ولم تعد الى الدبوس ، فسأطلق النار عليك ولم يخف على ديل من لهجة الفتاة ، وبريق العزم المنبعث من عينيها انها تعنى كل كلمة تنطق بها . . ولكنه لم يرتعد أو يجفل . وفقط راح يتساءل فيم كل هذا التهديد والوعيد والدبوس لا يساوى أكثر من بضعة شلنات . هتفت الفتاة بعد قليل : علام عولت ؟

— انك ممثلة بارعة يا آنسة آرليس .. ثم ان الانفعال يكسبك جمالا وفتنة .. أكبر ظني انه غير خاف عليك ان المسدس قد ينطلق صدفة فى أية لحظة ! فتطلعت الفتاة إلى ساعتها ثم أجابت :

— سينطلق بعد ثلاث دقائق ونصف بالضبط

فقال ديل وهو يخرج علبة لفافته من جيبه : هل تسمحين لى بالتدخين؟

فقالت الفتاة بلهجة هى مزيج من الحيرة والاعجاب : ألست خائفاً ؟

فعبس وأجاب : بل جد خائف ، وهـذا مايحملنى على التدخين لعلى أستعيد هدوئى فارتعشت شفتاها .. ولوحت بالمسدس فى حركة تهديدية ، ثم نظرت الى ساعتها مرة ثالثة وقالت : بقى على المهلة دقيقتان ! فتثاءب ديل .. والتقت أعينهما واستطاع ان يميز فى عينيها نظرة تصميم يخالطها قنوط ، وغضب جامح

ومرت دقيقة ، ثم أخرى ، وعندئذ دقت ساعة الردهة الرابعة .. وفى هذه اللحظة قذف ديل ببقية لفافة التبغ فى المدفأة ، وتقـدم من الفتاة .. وانتزع المسدس من يدها برفق ، ثم وضعه فى جيبه وقال :

— هذه لعبة خطرة قد تسبب لك متاعب جمة .. نسـتطيع الآن ان نستأنف حديثنا بهدوء واطمئنان ، فقد لا يتعذر علينا الوصول الى اتفاق سلمى ثم جذب مقعدا وجلس .. وكانت الفتاة تتنفس بصوت مسموع ، وتلقى عليه نظرات يتطاير منها شرر الغضب

قال ديل : كان من الحماقة ان تهدديني بالمسدس يا آنسة آرليس ، وأنا واثق أنك ما فعلت هذا إلا تحت تأثير عاطفة وقتية ، ولو كان الحافز عليه عن تفكر وتدبر لما لجأت اليه .. فتى لو كنت أنا أرسين لوبين والدبوس فى حوزتى لما أعطيته لك لأن معنى هذا ان أفضح نفسى .. ومادامت نتيجة الموت بمسـدسك توازى النتيجـة المحتملة الوقوع اذا مافضحت شخصيتى الحقيقية فانه لأهون أن أموت بطلق من مسدسك

فبـدأ الغضب ينفثئ عن الفتاة تدريجيا .. وغاض الدم من وجنتيها ، وبدت كطير بلله القطر .. ثم غمغمت وهو تطيل النظر إلى وجهه : انني اتساءل وكلى عجب اذا كنت قد اخطأت التقـدير .. لقـد

خيل الى انك أرسين لوبين.   فقال بصوت رصين : كثيرا ما تكون الظواهر خداعة . . وليس من الحكمة في شيء أن يسبق المرء الحوادث أو يثب إلى النتائج . . وعلى فكرة ، هل يبذل أبوك أي مجهود لاستعادة الدبوس ؟   — انه يقلب الأرض والسماء ، ولكنه يفعل ذلك بهدوء لأسباب خاصة

فتأمل ديل وجه محدثته ، وخيل اليه انه استشف نغمه الخوف في صوتها . فقال : سمعتك تقولين أن للدبوس قيمة عظمى في مسألة حياة أو موت . . فهل هو دبوسك ؟   فاجابت من بين أسنانها بصوت لا يكاد يسمع : كلا .   وانتفضت ثم قبضت راحتيها في عنف وعادت فبسطتهما . . وانبعثت واقفة على قدميها وقالت : يجب أن انصرف الآن . . يؤسفني أن أزعجتك يا مستر ديل . . هل تعدني الا تذكر أمر هذه . . الزيارة لأحد ؟   — بكل سرور يا آنسة . . واما عن الدبوس فلا تجزعي من ناحيته . . فمن المحتمل أن يعدل أرسين لوبين عن رأيه ويعيده اليك . . من يدري . ؟ لعلك تتسلمينه في بريد الغد !

— قد تفلت الفرصة غدا . . أو قد يقع الدبوس في ايدي قوم

وأمسكت فجأة . . وعضت على شفتها ، كأنما اسفت لما بدر منها

ثم استطردت بعد هنيهة : هل تسمح باستدعاء خادمك ، وترسله في طلب سيارة تاكسي ؟   فأجاب ديل في أدب : بكل سرور

وبعد عدة دقائق ، كان ديل واقفا أمام النافذة ، يراقب سيارة التاكسي وهي تبتعد عن منزله . . ولكنه ما لبث أن صفر دلالة على الدهشة والاستغراب . . ذلك انه رأى رجلا يبرز فجأة من باب أحد المنازل المواجهة وتلفت في اتجاه السيارة التي استقلتها الفتاة ، ثم رفع أصابعه إلى فمه ، وصفر صفيرا مستطيلا ، وعلى الاثر اقبلت سيارة مغلقة من الاتجاه المضاد فاستقلها الرجل على عجل ، وانطلقت به في اثر سيارة التاكسي

وهز ديل رأسه وهو في أشد الحيرة . . وارتد عن النافذة ، وقد تمثلت أمام ناظريه صورتان احداها صورة فيرا آرليس ، والاخرى لدبوس تافه القيمة محفوف بالاسرار والاحاجي

— ٣ —

قضى السير ما لكولم آرليس صاحب ومدير شركة آرليس للسيارات طيلة حياته العملية وهو يعمل على هدى قاعدة واحدة . هى أن الغاية تبرر الواسطة . وانه طالما استطاع المرء أن يمهد طريق النجاح فلا لوم عليه ولا حرج ان هو استعان بأرذل الوسائل لبلوغه

ففى صباح اليوم التالى لحفلة آل ترافيز جلس السير آرليس الى مكتبه ، وكان رجلا بدينا ، عريض المنكبين ، ممتقع الوجه هزيله برغم قوته الهرقلية ، وراح يدخن سيجاراً غليظاً .. وراح يملى على سكرتيرته الخاصة احدى الرسائل .. فى عبارات متقطعة ليست متناسقة تماما ..

وسرعان ما سرى قلقه وعدم استقراره الى سكرتيرته التى لاحظت عليه تغيراً محسوساً خلال الأيام القلائل الماضية .. فكثيراً ما كان يشتط فى حديثه .. أو ينتابه الوجوم وتشرد افكاره . وفى بعض الاحيان كان ينفجر صاخبا ، غاضبا .. وكان التغيير محسوساً فى ذلك الصباح بالذات .. فبدأ ينتابها شعور قوى بان مخدومها يعانى قلقا خفيا لايمت الى العمل بسبب

وأقبل أحد الخدم فى تلك اللحظة ، وأعلن قدوم زائر .. فأشار السير آرليس بيده الى سكرتيرته لتغادر الغرفة .. وفى اللحظة التالية دخل رجل ذو شارب اصفر منقلب السحنة بادى الصرامة والغلظة

وأغلق آرليس الباب بالمفتاح .. وقدم لضيفه سيجاراً .. ثم سأله : هل من أنباء يا درينون ؟ فاشعل درينون السيجار ، وجذب منه عدة أنفاس .. ثم أجاب : اصغ الى يا سير مالكولم .. فى استطاعتى ان أصل الى نتيجة مرضية لو انى عرفت ظروف الحادث والممت بملابساته . . فشدما يغل يدى أن أعمل فى الظلام .

فعبس السير آرليس .. وصاح : انها مسألة خاصة كما قلت لك منذ البداية .. وهذا سبب استخدامى اياك بدلا من أن أعهد بالقضية الى اشخاص يضطلعون بامثالها فى الظروف العادية .. وأظن انى قلت لك انه من العبث ان تحاول معرفة جوهر القضية ، ومع ذلك فقد زودتك بكل المعلومات الضرورية .. وعرضت عليك اجراً مضاعفاً ، وهبة مالية كبيرة فيما لو استطعت ان تعيد

الى الدبوس المفقود . فبم تتذمر ؟

— انى لا احب أن أتحسس طريقى فى الظلام .. صحيح انك صاحب الشأن ، وما تقوله نافذ ـ لكن ما حيلتى ؟! وبهذه المناسبة .. الم يتصل بك ارسين لوبين بعد ؟ فهز آرليس رأســه سلبا .. وقال : ولم يتصل بى ؟ — خطر لى أنه عرف بتدى لهفتك على استعادة الدبوس .. فعرض عليك التنازل عنه فى مقابل مبلغ ضخم من المال .. انه مجرد خاطر جال بذهنى مذ علمت انه لم يعد اليك الدبوس مع مجموعة الجواهر .. كم عدد الاشخاص الذين يعرفون السر ؟ — سر ؟! أى سر تعنى ؟

فاطال درينون النظر الى وجه المليونير بخبث .. وقال :

— لقد آثرت ان تلزم السرية فيما يتعلق بهذا الحادث .. فمثلا ، لم يأت ذكر الدبوس فى قائمة المسروقات التى قدمتها للبوليس .. ومن ثم لم تشر اليه الصحف بكلمة .. ولما كان هذا الدبوس مكتنفا بالغموض فانه لما يساعدنى كثيراً فى عملى ان أعرف الاشخاص الذين يلمون بسره .

ففكر آرليس هنيهة . . وأخذ يحدد البصر الى وجه رجل البوليس وأخيرا قال : انهم أربعــة فقط . . فيما أعتقد . . وهؤلاء هم أنا ، وأرسين لوبين ، وابنتى ، وشخص آخر لا أستطيع ان أذكر اسمه

— وماذا بشأن زوجتك ؟ فتلاعبت على شفتى السير آرليس ابتسامة ساخرة . . وهتف : ان زوجتى لاتعرف شيئا

فسجل درينون بعض الملاحظات فى مفكرته . . ثم نظر الى وجه السير آرليس طويلا كأنما أراد أن يقرأ مايتكتمه عنه .. وقال : ثم سؤال آخر ياسير مالكولم . . لكن أرجو ألا تغضب من القائه . . هل لديك من البواعث مايحملك على الظن بأن الآنسة آرليس تعمل ضدك فى هذه القضية ؟

فرماه المليونير بنظرة نفاذة ، وقال وهو يزن الكلام قبل النطق به :

— ربما .. ولكنها فيما أعلم لم تتخذ أية اجراءات فى هذا السبيل بعد .. لم هذا السؤال ؟ فقال درينون : سأحدثك بما قد يكون مفاجأة لك ياسير آرليس . . لقد لاحظت ان ابنتك كانت تتحدث الى مستر مارتن ديل اثناء حفلة آل ترافيز ليلة أمس — وماذا فى ذلك ؟ انى

اعرف مستر ديل معرفة سطحية . . ولست أرى حائلاما فى ان تتحدث ابنتى اليه — ليس هذا كل شىء ياسيدى .. حوالى الساعة الثالثة والربع من صباح اليوم ـ أعنى بعد عودتكم الى منزلكم بنصف ساعة ، غادرت الآنسة آرليس المنزل ، واستقلت سيارة تاكسى وذهبت الى منزل مستر مارتن ديل فى كننجستون . . فبقيت فيه الى حوالى الساعة الرابعة والنصف

فصاح المليونير وهو يميل الى الأمام فى مقعده : ياللشيطان ! !

ولكنه استطاع ان يتمالك هدوءه فى لمح البصر . . وقال برزانة :

ـ ولكنى لا أرى مايدعو للمؤاخذة فى مثل هذه الزيارة سوى انها ذهبت لزيارته دون إذن أو رفيق . . سأطالبها بايضاح تصرفها هذا على كل حال . .

فصاح به درينون مقاطعا : انك لن تفعل شيئا من هذا . . لأن خوف الفضيحة هو آخر مايعلق بالذهن فيما نحن بصدده . . ونصيحتى اليك أن تترك للآنسة آرليس الحبل الذى هى بحاجة اليه ، فقد تستطيع ان تساعدنا فى العثور على الدبوس المفقود ، ليس برضاها بالطبع ، ولكن عن طريق خطأ أو هفوة ، قد تزل اليها عفوا فترشدنا الى مكانه

ـ هل تظن ان ابنتى تعرف شيئا ؟ — انى فقط استنتج . . لقد قلت ان عند ابنتك من البواعث ماقد يحملها على العمل ضدك . . ولما كان من غير المستساغ أو المألوف ان تذهب فتاة لزيارة شاب فى الثالثة والنصف صباحا ، وليس ثم حافز قوى على هذه الزيارة ، فلا ريب إذن ان لها علاقة بالقضية التى عهدت الى بتحقيقها

فاخذ السير آرليس ينفث الدخان من فمه فى حركات عصبية ، وكان لايفتأ ينظر الى درينون خلسة . وأخيراً صاح :

— ولماذا لا تحدثنى بالحقيقة سافرة عن كل غموض ؟ !

فقال درينون برفق : انى فقط أتساءل لماذا تذهب ابنتك لزيارة مستر مارتن ديل بالذات فى مثل هذا الوقت المتأخر من الليل ؟ يبدو أن للزيارة علاقة بالدبوس المفقود . فهى إما تعلم أين هو أو أنها تحاول معرفة مكانه . . ولما كنا نعلم أن الدبوس لايزال فى حوزة ارسين لوبين ، أفلا يبدو غريبا

اذن ، أن تقودها محاولتها الى منزل مستر ديل فى هذا الوقت المتأخر جـــدا من الليل ؟ فانتفض آرليس . ثم جمد فى مكانه بضع لحظات وأخيراً مال الى الأمام فى مقعده وحدق فى وجه درينون . وهتف :

— لاأحسبك تريد أن تقول ان مستر مارتن ديل . . هو . . هو . .

فضحك درينون ضحكة هادئة . وقال :

— انى لست متأكدا من شىء حتى الآن ياسير آرليس ولـكن الزيارة فى حد ذاتها ، اذا اقترنت بظروف الحادث تحمل الانسان على التفكير والتأمل العميق . أما وابنتك تقحم نفسها فى القضية . فالى أى حـد تسمح لى بالعمل ؟ فراح المليونير يدخن فى صمت بضع دقائق كان خلالها يعصر ذهنه عصرا . واخيراً أجاب بلهجـة تشـف عن العزم والتصميم : يمكنك أن تذهب الى ابعد الحدود اذا اقتضى الأمر ذلك

فالتقط درينون حقيبته وهو يقهقه ضاحكا . ثم انبعث واقفاً ، واستاذن فى الانصراف . وما كاد السير آرليس يخلو الى نفسه بضع دقائق حتى عاد الحاجب يعلن قدوم مستر ويستكوت ترين

وأجفل السير آرليس . ولـكنه تمالك نفسه فى الحال حتى لا يظهر أمام الحاجب بمظهر المنذعر ، فقال بصوت هادىء متزن : دعه يدخل !

وما كاد الحاجب ينصرف حتى غمغم المليونير قائلا : شد ماأعجب ماذا يريد ترين ؟ ! سوف يسوء موقفى كثيرا لوعرف بضياع الدبوس

ونهض واقفا ، وقد ارتسمت فى عينيه نظرة صارمة . وأخـــد يذرع الغرفة بخطى متثاقلة . وبعد هنيهة فتح باب الغرفة ونفـــذ منـــه شاب فى مقتبل العمر ، أسمر البشرة ، أزرق العينين تشع منهما نظرة تشف عن البرود . وتقدم الشاب من المـكتب ورمق السير آرليس بنظرة تدل على الحقد المتأصل . فقال هذا بصرامة

— أحسب انى قلت فى آخر لقاء بيننا اننى سأقذف بك الى الخارج أن عدت . فان العمل الذى نشترك فيه يمكن تصريفه بتبادل الرسائل

فضاقت عينا ترين .. وتقلصت عضلات وجهه .. ثم أجاب بحدة :

— انك لن تقذف بى الى الخارج ياسير ملـكولم . . إذ ليست لديك

الجرأة على هذا . فهز السير آرليس كتفيه استخفافا ، وسأل باحتقار : ماذا تريد ؟ — إحدى سجائرك الفاخرة ! ! آه ! شكراً لك ! وتمهل المليونير ريثما يشعل الشاب السيجار .. ثم قال : كنت أظنك فى باريس .. فما الذى جاء بك إلى لندن ؟

— نوبة حادة من الحنين إلى الوطن .. وبواعث أخرى ، احدها السخط على نفسى ، وعلى العمل الدنىء الذى أتولاه لك منذ ثلاثة أسابيع .. لقد جئت لأقول لك انى فرغت منه . فهتف المليونير بصوت ينم عن القلق : أحقا ؟ ! ألم يغب عنك شىء ؟

فأجاب الشاب وهو ينعم النظر إلى وجهه من خلال سحب الدخان التى كان ينفثها من فمه : ربما !! لكن ماقيمة الحياة اذا فقد الانسان كرامته ؟! لقد استطعت ان تغل يدى وقدمى يا آرليس ، خيل الى انك وأدت روحى وقضيت عليها . ولكن سرعان ما اكتشفت انى اخطأت الظن .. خيل إلى انك حطمتنى ، ولكنى تبينت انى فقط أصبت بجرح بالغ فى كرامتى .. وما زالت هناك بقية من الرجولة فى أعماقى لاتلبث أن تنمو وتترعرع .

فقال السير آرليس ساخراً : ماهذه البلاغة الساحرة ؟ ! ألا ترى من الخير ان نتحدث فى لب الموضوع مباشرة ؟ !

فتجاهل ترين قول المليونير .. وأردف : لقد غادرت باريس ليلة أمس ، وجئت لأخبرك انى لن استأنف هذا العمل الحقير الذى أرغمتنى على إتيانه .. لقد ثارت كرامتى وتمردت ، وأحسب انه مازال فى الوقت متسع لاصلاح تلك الثلمة التى أصابت حياتى . . افعل مابدا لك يا آرليس ، الق بى فى السجن أو أقذف بى الى المشنقة ، ولكنك لن تستطيع ان تنال من روحى منالا .. فقد عولت على انقاذ ماتبقى من كرامتى .. وسافعل ..

فقلب آرليس شفته مغضبا ، وصاح : هذا كلام طيب . ولكنه مع الأسف صادر من فم قاتل أثيم ! فتقدم ترين خطوتين منه ، وقد شع من عينيه بريق الحقد ، وامتقع لونه . ولكنه قال بهدوء : لاتقل هذا مرة أخرى يا آرليس .. فهز المليونير كتفيه .. وراح يتأمل

وجه الشاب بنظرة متفحصة .. ثم سأله : هل قابلت ابنتي فيرا ؟

فضحك الشاب ضحكة تفيض مرارة وأسى .. وأجاب :

— انى ، برغم انحدارى ، مازلت أحترم كلمتى .. لقد كان اتفاقنا يقضى لى بعدم الاتصال بالآنسة آرليس بأية وسيلة من الوسائل . . وقد نفذت الاتفاق بحرفيته وروحه . . وعلى فكرة ، لقد وقع بصرى منذ بضعة أيام فى إحدى الصحف على مقال أثار اهتمامى

فهتف آرليس بصوت يشف عن اللهفة : حسنا . . وماذا قرأت ؟

— ان أرسين لوبين شرفك بزيارته ، وسرق مجموعة جواهرك التى تعتز بها .. فهل كان الدبوس بين المسروقات ؟

فارتسمت على شفتى المليونير ابتسامة خبيثة . وقال بدهاء :

— أراك متلهفا على معرفة مصير الدبوس ياترين . . ولا شك انك على استعداد لأن تضحى بأثمن ما لديك لتتأكد من ضياع الدبوس إلى الأبد .. لكن هل غاب عنك ان ضياعه ليس كل شىء ؟

فعض الشاب على ناجذيه ، وراح يحدق فى وجه السير آرليس لعله يستطيع ان يهتدى الى قبس من أمل يضىء له الظلمات التى يتخبط فيها ولكن وجه السير آرليس كان جامدا كالصخر

واستطرد المليونير بعد هنيهة : وهل غاب عنك ان وجود الدبوس فى حوزة أرسين لوبين لا يقل خطورة عن وجوده فى حوزتى ؟ فالم يحطمه لوبين ، وهو ماليس محتملا ، فهناك خطر وقوعه فى أيدى البوليس .. فلا تحاول أن تطمئن نفسك بالآمال الخداعة ياترين . . لقد أعاد لوبين الى الدبوس مع سائر الجواهر بمجرد أن أذعنت لشروطه

ووقف الرجلان فترة من الزمن يتراشقان النظرات . . وأخيرا سأل ترين : وهل عاد اليك الدبوس سليما ؟ فقال السير آرليس دون ان تختلج فى وجهه عضلة واحدة : نعم ، والآن . . دعنا نضع حداً لهذه المهزلة ياصديقى . فاما أن تعود فوراً الى باريس وتنهى المهمة التى عهدت بها اليك أو استدعى البوليس لزيارتى فى منزلى ، وهناك أعرض عليه حلية لاشك ستثير كل اهتمامه وجلس المليونير إلى مكتبه ، وجذب التليفون نحوه

وعندئذ شاهد على وجه الشاب مزيجا من متناقض العواطف والاحساسات فقال برفق : ان القطار الذى يقل المسافرين الى القارة يسافر عند الظهر ، فينبغى ان تبادر بالرحيل ان أردت اللحاق به

فتردد الشاب قليلا .. ورمق المليونير بنظرة شزراء . ثم مالبث ان بدا عليه وكأنه قد حزم أمره على رأى معين .. فهز كتفيه .. ثم تهيأ لمغادرة الغرفة وهو يقول :

— حسنا .. أن لباريس بهجتها ومحاسنها على كل حال

وغادر الغرفة . وما كاد يغلق الباب خلفه حتى تنفس آرليس الصعداء

وراح ترين يهبط الدرج وئيدا ، وهو مطأطىء الرأس .. ولو قد رأى آرليس النظرة التى كانت تشع من عينيه فى تلك اللحظة لما ساوره الاطمئنان الذى الم به فى تلك الآونة   غمغم الشاب لنفسه : انى لا استطيع

ان أفهم هذا الثعلب الماكر . ومع ذلك فانى ارتاب كثيرا فيما قاله لى عن الدبوس . . انى لاعجب . . ! !

— ٤ —

غادر مارتن ديل منزله فى كننجستون فى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى . وانطلق إلى منزله السرى فى بادنجتون ، حيث اعتاد أن يتردد على هذا المنزل كلما عن له أن يقوم باحدى مغامراته . . أو انتهى منها .

وقد قصد إلى منزل حى بادنجتون فى هذا الصباح لأنه احتفظ هنالك بالدبوس الذى تسعى فيرا آرليس للحصول عليه ، كما اعتاد أن يبعث بالجواهر التى يغنمها من مغامراته اليه ريثما يبت فى امرها ، وبذلك يأمن اكتشاف شىء يريبه اذا ما هاجم البوليس منزله كما حدث كثيرا

كان قد حزم أمره على اعادة الدبوس إلى الآنسة آرليس ، اما بطريق البريد أو مع رسول خاص دون توان . . ومع انه اعتاد الا يرتاد منزله السرى فى رابعة النهار ، فقد عول فى هذه المناسبة على كسر القاعدة التى جرى عليها غير عابىء بما قد يتعرض له من افتضاح أو اكتشاف . . أو بالريبة التى ربما تساور الفتاة نفسها من ناحية شخصيته عندما يعود اليها الدبوس ولما ينقض على وعده لها اكثر من ساعات معدودات .

واستقل لوبين سيارة الاومنيبوس . . ولكنها لم تكد تنطلق به شوطا من الطريق ، حتى احس بدافع خفى حمله على الانتقال من مقعده فى المقدمة الى آخر فى المؤخرة . . وأخذ يدمن النظر الى عرض الطريق ، فلاحظ ان سيارة تاكسى تتبع السيارة التى يركبها عن كثب . . وما لبث ان رأى وجه رجل ملتصقا بزجاج نافذة التاكسى ، وكان الرجل يتطلع اليه فى اهتمام غير عادى . وتذمر لوبين ، وانتابه الغضب ، ولكنه مالبث ان وثب من السيارة عند أول منعطف . . واختلط بجماهير السابلة محاولا تضليل الرجل الذى كان يراقبه من نافذة سيارة التاكسى . فلما خيل اليه انه أفلح فى تضليله شعر فجأة بيد توضع فوق كاهله ، وسمع صوتا مألوفا لديه جيدا يقول صاحبه : ما الغرض من هذه المناورة ؟ ومنذا الذى تحاول تضليله ؟

فقال ديل بحنق مكبوت : أهذا أنت أيها المفتش ؟

رأى أمامه المفتش ويليام سمرز صديقه وعدوه اللدود . وكان هذا ينظر اليه باهتمام يخالطه الحذر   واستطرد ديل : لقد وقع بصرى منذ لحظات على رجل لم يرقنى منظره ، وأحسب اننى استطعت أن أتخلص منه

وتلفت حواليه بارتياح ، كأنما أزيح عن كاهله عبء ثقيل ، وأردف

— إلى أين أنت ذاهب ياعزيزى سمرز ؟

فقال المفتش بهدوء : الى حيث أتناول طعام الافطار ، فقد ظللت فى مكتبى حتى الساعة الثانية من صباح اليوم ، تعال شاطرنى الطعام

— شكرا لك ياعزيزى ، لقد تناولت افطارى منذ فترة وجيزة

— اذن نستطيع أن نتبادل الحديث ريثما أفرغ منه

وتأبط ذراعه ، فسار ديل معه مرغما الى أحد المطاعم الهادئة . . وقد اعتزم فى نفسه أن ينتهز أول فرصة تسنح له ويستأذن من المفتش ليتم المهمة التى كان بسبيل انجازها   وعندما أخذا مجلسهما حول مائدة الطعام ، سأل ديل : وما القضية التى تحققها فى هذه الآونة ؟ ! لا أحسبها احدى مغامرات ارسين لوبين ؟   فقطب المفتش حاجبيه وأجاب :

— كلا . ليس للوبين ضلع فى الحادث الذى أحققه الآن ياديل . سأمنح لوبين اجازة قصيرة فى الوقت الحاضر ، لأن القضية التى أحققها تختلف كثيراً عن طبيعة مغامراته .   فحدق ديل فى وجهه باهتمام وأعار المفتش كل سمعه فى انتظار أن يدلى اليه بتفاصيل القضية الجديدة ، كما حدث ذلك كثيراً من قبل . فعلى الرغم من عدائهما الشديد من الناحية العملية . فان سمرز لايفتأ يستشير صديقه مارتن ديل فى القضايا الغامضة التى يعهد اليه رئيسه ببحثها . وطالما أمده ديل بالرأى الصائب ، والقول الفصل

واستطرد سمرز : اننى أقلب الأرض والسماء بحثا عن شىء معين . انه تافه فى حد ذاته . ولكن له أهمية قصوى فى القضية

فضاقت عينا ديل فجأة ، وهتف : مدهش ! لكن بفرض أنك عثرت عليه فماذا ستصنع به ياعزيزى ؟

— اقبض على الشخص الذى أجده معه .

فانتصب ديل فى مجلسه ، وصاح : آه ! وما هى تلك الجريمة المنكرة

التى ارتكبتها ؟ — جريمة قتل !

فمال ديل الى الخلف فى مقعده . وراح يعبث بآنية الملح فى ضجر ، ولكنه كان يراقب المفتش من طرف خفى .

وفجأة طاف بذهنه خاطر غريب . فقال دون أن يعى مانطق به :

— انى لأتساءل عما إذا كان الشىء الذى تبحث عنه دبوســا أخضر اللون ؟ سقطت الشوكة من يد المفتش فجأة .. وحملق فى وجه ديل مبهوتا .. وعندئذ أدرك هــذا ، بعد فوات الأوان ، انه ارتــكب خطأ فاحشا .. فراح يقدح زناد فــكره بحثا عن مخرج من مأزقه .

صاح سمرز ، وقد نسى طعامه تماما : ماذا تعرف بحق السماء عن الدبوس الأخضر اللون ؟ فأجاب ديل وهو يتظاهر بقلة الاكتراث :

— وما الذى جعلك تنفعل هكذا ؟ كان ديل يشــعر بشىء من الاطمئنان ، لمجرد علمه أن المفتش سمرز لا رتاب فى أن لأرسين لوبين صلة بقضية الدبوس الأخضر .. ولــكنه مع ذلك . أدرك أنه ينبغى أن يستعين بكل ذكائه كى يظل المفتش محتفظا بهذا الاعتقاد .

أجاب سمرز : ان موضوع الدبوس من المواضيع السرية جداً .. فاذا كنت تتحدث عن نفس الدبوس الذى أعنيــه . فلابد إذن ان بعض المعلومات قد تسربت .. أو ان ...

وتمهل .. ومال نحو لوبين .. وحدق فى وجهه بعينين كعينى الصــقر .. ثم سأل : أين سمعت عن هذا الدبوس ؟

فابتسم ديل ، وقال مراوغا : وهذا أيضا سر من الأسرار .. لقد حدثنى شخص معين منذ بضعة أيام عن دبوس أخضر اللون ، ولــكنه لم يصارحنى بما صارحنى به — وهو لا يكاد يذكر — إلا بعد أن أقسمت له بألا أبوح لأحد بكلمة منه فلا تحاول عبثا أن تعرف اسم الشخص الذى أفضى إلى بهذه المعلومات لــكن جريمة قتل من المســائل الخطيرة ياديل وكذلك إفشاء الأسرار ياسمرز .. فى استطاعتى أن أبوح لك بقدر معين مما أعلم .. ان الشخص الذى حدثنى عن الدبوس يتحرق لهفة للعثور عليه ، ولــكنه مع ذلك برىء من تهمة القتل براءة الذئب

من دم ابن يعقوب .   ما كاد ديل ينطق بهذه العبارة حتى خطر له خاطر ازعجه .. ان فيرا آرليس لم توضح له شيئا وكل ما أفضت اليه به ، انه من الأهمية بحيث انها لاتدخر وسعا أو مالا لاستعادته . . وما سمعه من سمرز يشير إلى ان هناك أسبابا لتلهفها الشديد على استعادته . فهل من المحتمل إذن . .   وكأنما لم يرقه هـذا الخاطر .. فهز رأسـه .. وانبعث واقفا على قدميه .. وقال للمفتش وهو يبتعد صوب باب المطعم

— إذا اردت مقابلتي فتعال لزيارتي في منزلي .

وقبل أن يتمكن سمرز من الكلام ، كان ديل قد بلغ الشارع وراح يتلفت هنا وهناك .. فلما اطمأن إلى ان أحداً ليس في انتظاره استقل سيارة تاكسي وانطلق بها إلى منزله في حي بادنجتون . فبلغه عند الظهر .

ووقف ديل على مبعدة من باب المنزل .. والقى نظرة حوله . فلما استوثق من ان كل شيء على ما يرام اخرج المفتاح.. وفتح الباب ، ونفذ الى الداخل ثم اغلقه بالمزلاج .. وتنفس الصعداء .

وتقدم من النافذة ، وتطلع الى الخارج طويلا .. ثم انتقل الى نافذة اخرى تطل على مؤخرة المنزل ، ونظر من خلالها .. فلما اطمأن قلبه ، فتح باب غرفة صغيرة .. تكاد تكون عارية عن الأثاث .. وجرى باصابعه فوق أحـــد الألواح الخشبية التي تغطي جدرانها .. عندئذ سمع صوت خافت .. وانزلق احد الالواح الى الداخل ، وتكشف عن دولاب صغير ..

ومد ديل يده ، والتقط من احد ادراج الدولاب دبوسا اخضر اللون.. ومضى الى النافذة ووقف عندها يتأمل الدبوس ..

كان قد احتفظ به لأن منظره استهواه .. ولـكنه ، بعـد ان رأى لهفة فيرا آرليس واهتمامها به ، شعر بدافع أشد يحمله على الاحتفاظ به ..

وأخذ يحـدق في الدبوس .. كان مصنوعا على هيئة جانب من وجه امرأة ، وقد حمله جمال النقش ودقته على التأكد من ان صانعه بذل في صنعه مجهوداً عظيما ، واسـتعان بكل فنه على اخراج تلك الحلية الرخيصة في أبدع تكوين .. فقد كان التمثال يكاد ينطق ويفصح عن شخصية صاحبته .   قال يناجي الحلية : مما يؤسف له أنك لا تستطيعين

الكلام .. انى على استعداد لان اراهن على أن قصتك تفوق اساطير اساطين المؤلفين وعباقرة الشعراء .. يقول صديقى سمز انك محور جريمة قتل .. ومع هذا فان فيرا الحسناء تحاول بكل وسعها أن تعثر عليك .. ترى ما معنى هذا كله ؟ وكلما أنعم النظر الى الدبوس ، كلما اشتد اعجابه به ، وزاد استئثارا بلبه .. وتحول ديل ببصره الى ناحية أخرى .. فقد خامره شيء من الامتعاض لأنه اعتزم اعادة الدبوس الى فيرا آرليس ، وخشي ان هو أطال النظر اليه اكثر من ذلك ان تفتر عزيمته ، وينقض ما استقر عليه رأيه .. وبغير وعى منه ، راحت اصابعه تعبث بالدبوس .. وما لبث أن صاح صيحة دهشة واستغراب .. ذلك أن أصابعه ضغطت فوق نتوء دقيق جداً فى أحد جانبى تمثال وجه المرأة النصفى .. وفى التو برز من هذا الجانب قضيب دقيق من الذهب الخالص

وشهق ديل .. وحملق الى التمثال .. فرأى فى الجانب الثانى نتوء آخر ، ما ان ضغطه حتى برز قضيب آخر مماثل للاول .. وكان القضيبان مقوسين بحيث يلتقى طرفاهما المتحركان فيكونان حلقة تكفى لدخول معصم المرأة .

وأدرك ديل للتو ان الدبوس يصلح أيضاً لان يكون سواراً .. فتمتم دهشاً : هذا شيء يثير الاهتمام ، ولو أنه ليس الاول من نوعه فقد طالما سمعت عن دبابيس يمكن ان تلبس كسوار .. على كل حال .. ان ذلك لا يفسر الضجة التى يثيرها هذا الدبوس .. لكن يا الهى ! ما هذا ؟!

لاحظ لوبين عدة خدوش دقيقة فوق قضيبى الذهب الرفيعين . فأدرك أن شخصا استعان بمدية حادة فى احداث هذه الخدوش . وكانت هذه الخدوش على مقربة من نقطة التقاء القضيبين مما جعله يعتقد أن أحد الاشخاص حاول ان يفتح السوار عنوة . فلعل الشخص الذى كان يحتفظ به لم يعرف بادىء الأمر كيف يخلعه ، ولأمر ما ، حاول أن يحطمه عنوة . .

وكان هذا الخاطر مدعاة لتأويلات شتى ابتسم لها مارتن ديل

والمرة الثانية ضغط النتوءين الدقيقين فاختفى القضيبان فى التو . كان الاكتشاف تافها فى حد ذاته . . ولكنه بدا هاما فى عين ديل عندما تذكر الملاحظات الغامضة التى سمعها من صديقه سمز والآنسة آرليس

لذلك عول على العمل . . ان فيرا آرليس ، برغم ريبتها فى شأنه ، مازالت تعتقد ان أرسين لوبين هو سارق الدبوس . فلماذا لا يعيد اليها أرسين لوبين نفسه هذا الدبوس ؟

غمغم ، وهو يضغط زراً خفيا فى الجدار ، فتنفرج بعض الواح الخشب عن باب سرى يؤدى إلى غرفة صغيرة : اخرج يا مارتن ديل .

وقضى نصف ساعة فى هذه الغرفة ، ولما تهيأ لمغادرتها غمغم : ادخل يا أرسين لوبين كان قد استحال رجلا غير الرجل . . حتى صوته كان قد تغير تماما . . ففى خلال نصف الساعة التى قضاها فى الغرفة السرية استطاع مارتن ديل أن يثب إلى الأمام عشرين سنة . . ولو رآه اعز أصدقائه لما عرف أن هذا الرجل الذى أشرف على الخامسة والخمسين هو مارتن ديل الشاب الثرى ذو الشهرة الواسعة فى الاوساط الراقية

وأنعم لوبين النظر الى نفسه فى المرآة من خلال العوينات السميكة التى كان يضعها فوق عينيه . . ثم ابتسم دلالة على الرضا والارتياح

وتناول لوبين طعام الغداء فى المنزل ، وقضى بعد الظهر كله فى المطالعة ، ولما توارت الشمس خلف الأفق تسلل من منزله ، ومضى الى أقرب تليفون عمومى . واتصل بالآنسة فيرا اركيس وما كاد يسمع صوتها من الناحية الأخرى حتى قال لها بذلك الصوت العميق المصطنع :

— اصغى الى يا آنسة آرليس . . ولكن لاتلقى على أية أسئلة . . سوف تعلمين اشياء تهمك كثيرا لو انك انتظرت فى الركن الجنوبى الغربى من ساحة برايانت فى الساعة الثامنة والربع وسمع ديل من الناحية الأخرى شهقة تدل على فرط الدهشة . . فابتسم ، وأعاد السماعة الى مكانها . ولم يكن يخالجه أدنى شك فى ان فيرا ستأتى فى الموعد ، فهى ولا شك ستعتقد ان للمقابلة علاقة بالدبوس المفقود وانطلق ديل الى أحد المطاعم ، فتناول طعام العشاء ، ثم قضى نصف ساعة وهو يطالع صحف المساء ويدخن . . ثم استقل سيارة الاومنيبوس ، وهبط منها على مقربة من مكان الاجتماع . وبعد خمس دقائق ، توقف فى سيره وهو يتلفت يمينا وشمالا . . وما لبث ان رأى الفتاة جالسة على أحد المقاعد فى الركن

الجنوبى الغربى من الساحة وعلى رأسها قبعة عريضة الحوافى ، ولكنه عرفها فى الحال . . فابتسم ، وتقدم منها . . وجلس بجانبها فى هدوء . . ثم غمغم :

— ألست أنت الآنسة فيرا آرليس ؟

فابتسمت الفتاة ابتسامة خفيفة . وحدقت فى وجه محدثها محاولة أن تتعرف عليه . ولكن الضوء كان ضعيفاً فلم تستطع أن تتبين ملامحه .

قالت : شد ما أعجب كيف عرفتنى ؟ ! لماذا سعيت الى مقابلتى ؟

— ألا تستطيعين التكهن ؟

فلزمت الفتاة الصمت هنيهة . كانما تعذر عليها الكلام . وعندئذ استطرد ديل : أليس هناك شيء تبذلين من أجله كل وسعك للحصول عليه ؟

ودس يده فى جيبه بحركة ذات مغزى . فهتفت الفتاة بلهفة شديدة :

— هل تعنى أنه ... انه معك ؟

وحدت البصر الى وجهه . ولكن لم تظهر على وجهها أية علامة تدل على أنها عرفته . وقال لوبين وهو يخرج يده ببطء من جيبه :

— ثم أمر واحد أود أن أعرفه . من تكون المرأة التى تتمثل صورتها فى التمثال ؟ فانتفضت الفتاة وهتفت بصوت خافت ينم عن الانفعال : اذن فهو فى حوزتك حقا ! أرجوك أن تعطينيه ! أرجوك !

فلم يحرك ديل ساكنا . وقال : من صاحبة الوجه . لقد اجتذبت عيناها اهتمامى . حتى لأشعر بانى يجب أن أعرف اسمها .

فهمست الفتاة من بين أسنانها : أواه ! لقد ماتت صاحبته

— أماتت مقتولة؟ — نعم وفى التو بسط ديل راحته للفتاة . فاختطفت الدبوس من يده . وأنعمت النظر اليه هنيهة ثم همست وهى تثب واقفة على قدميها : شكرا لك ! ! قد لا نتقابل مرة أخرى . ولكن ثق أن سرك عند من يقدره قدره يامستر ارسين لوبين .

وعلى أثر ذلك هرولت مبتعدة عنه . فبقى ديل ملازما مكانه هنيهة . ولم يفكر فى تعقبها لعلمه بان عقلها منصرف فى تلك اللحظة الى التفكير فى الدبوس

ونهض واقفا بدوره . وقد أدرك انه ألم بكل ما كان يود معرفته . ان عبارة الفتاة تدل بوضوح على أن صاحبة الدبوس هى محور الجريمة التى

يحققها المفتش سمز . ولو انه انطلق فى أثر الفتاة ، ورأى ماحدث لها عقب صعودها الى سيارتها التى كانت فى انتظارها لما شعر بالضيق والضجر اللذين انتاباه فى تلك اللحظة

— ٥ —

كان المساء حارا ، والجو ساكنا ، والهواء راكدا .

ولم يشعر ديل بالرغبة فى العودة الى منزله السرى . ولكنه لم يستطع أيضا الانطلاق الى منزله فى حى كننجستون خشية أن يثير مرآه وهو متنكر ريبة خادمه بلكنز . فوقف مترددا لايعرف ماذا يفعل

وفجأة ، طاف برأسه خاطر تهللت له أساريره . . كانت الملاحظة التى نطقت بها ڤيرا آرليس فى الليلة الماضية باعثا له على التفكير الجدى ، فما من شك فى ان كثيرين غيرها قد فكروا فيما فكرت فيه ، وعجبوا مثلها عجبت كيف أمسك أرسين لوبين عن زيارة مارتن ديل الثرى المعروف طوال هذه المدة وضحك ديل لمجرد التفكير فى ان يسرق منزله . . ولكنه كان يعلم ان مثل هذا العمل كفيل بأن يبعد عنه ريبة أصدقائه ممن يتجهون فى تفكيرهم اتجاه ڤيرا آرليس

وعول على سرقة منزله . . ولكنه رأى ان الوقت لا يزال مبكراً ، فمضى إلى إحدى صالات الموسيقى وقضى فيها ساعتين . . ثم غادرها الى منزله ، فبلغه بعد منتصف الليل بقليل كان يعلم ان هذه المغامرة أخطر مغامراته ، فلو انه ضبط متلبساً وهو يسرق منزله ، لقضى بذلك قضاء مبرماً على نفسه ومع ذلك فقد صمم على انفاذ الفكرة لينفى الريبة عن شخصيته المستعارة . . ومن ثم أدار بصره فى ارجاء الطريق ، فلما استوثق من خلوه من السابلة ، تقدم من باب المنزل ، واستعان باحدى أدواته — لكى يبدو الاغتصاب جليا — وفتح الباب . . ونفذ إلى الداخل ، ثم أغلقه خلفه فى هدوء

وأصاخ ديل السمع هنيهة . . ثم مشى إلى الدرج . وصعده بحذر . . وانطلق إلى غرفة المكتب حيث اعتاد ان يضع فوق مكتبه بضع تحف ثمينة واضاء المصباح الكهربائى الموضوع فوقه . . وشرع يجمع التحف

ويدسها فى جيبه . . ثم جلس الى المكتب ، وأخرج من جيبه بطاقته المشهورة ، وشرع يكتب فوق ظهرها الرسالة المأثورة بخط لايمت إلى خطه الحقيق بصلة : « لا اشك فى انك ستغفر لى دعابتى واجترائى على شىء مما تملكه ، على انى على استعداد لرد ماأخذت لو انك تبرعت بعشر قيمته للاعمال الخيرية أرسين لوبين »

ووضع القلم مكانه ، وأخذ ينعم النظر الى ما كتب بعين الخبير . . ومالبث ان ابتسم . . وتقدم صوب الخزانة الموضوعة فى أحد جدران الغرفة ولكنه لم يكد يخطو نحوها خطوتين حتى جمد فى مكانه مأخوذا

سمع صوت حركة خافتة صادرة من ناحية الباب ، فأيقن ان خادمه بلكنز قد تنبه إلى وجوده فى الدار ، فجاء ليتحرى جلية الأمر

ولم تخف عليه دقة الموقف ، وراح يفكر بسرعة

وفى اللحظة التالية سمع صوتا يصيح به : ارفع ساعديك فوق رأسك !

ولم يكن الصوت صوت بلكنز . وانما صوت المفتش سمرز . ! !

واستدار ديل على عقبيه . . فاذا بالمفتش يصوب نحوه مسدسا أوتوماتيكيا ضخما وتقدم سمرز إلى الداخل . . ولما أدرك ديل انه من العبث ان يقاوم المفتش فى تلك اللحظة ، فقد رفع يديه فوق رأسه

حار فى تعليل وجود المفتش فى منزله فى هذا الوقت المتأخر من الليل ولكنه كان واثقا انه يواجه اخطر موقف فى حياته

وما كاد سمرز يرى هيئة اللص ، حتى حدق فى وجهه مشدوها وخشى ديل ان يقدم سمرز على تجريده من تنكره وهو مالابد فاعله ، وهنا تكون الطامة الكبرى وقهقه المفتش ضاحكا وصاح

— هاأنذا قد ضبطتك متلبسا أيها اللص اللعين !

وتقدم خطوتين الى الأمام ، فتراجع ديل مثلهما الى الخلف مبتعدا عن دائرة الضوء ما استطاع . فقد أدرك ان سمرز لم يتبين ملامحه بعد ، ويعتقد انه ضبط لصا عاديا . وكان سمرز قد بلغ حافة المكتب فى تلك اللحظة . . وحانت منه التفاتة عابرة الى بطاقة أرسين لوبين الموضوعة فوق المكتب فبدرت من فمه صيحة دهشة بالغة .

وتحفز ديل للوثوب ، ولكن سمرز كان قد استعاد هدوءه .. وصاح وهو يحدق في وجهه مشدوها : ارسين لوبين ؟ ! مرحبا ياصديق . . شد مايسرني ان أراك بعد هذا الفراق الطويل . . تقدم من الضوء ودعني أرى وجهك جيدا فقد كدت انساه ولوح بمسدسه ، ولكن ديل لم يتحرك من مكانه .. وراح يرقب المفتش عن كثب ، وهو يقدح زناد فكره باحثا عن مخرج . كان المفتش يعلم انه أمام ارسين لوبين . . ولكنه لم يعلم بعد أنه أمام مارتن ديل . . وقد أصر ديل على تأخير هذا الاكتشاف جهد طاقته . وتقدم سمرز الى الامام خطوتين ، وهو يسدد مسدسه الى صدر غريمه العتيد . . ثم قبض على إحدى ذراعيه

بيده الطليقة ، وجذبه نحو الضوء . . فشعر ديل بالاغراء يستولى عليه لينقض على المفتش بقبضته ويلوذ بالفرار ، ولكنه قدر ان مثل هذه المحاولة قد تؤدى الى عكس النتيجة المنشودة منها . . فقد ينتبه المفتش لما يعتزمه ويطلق عليه النار
وأطلق سمرز ذراعه .. ونظر اليه بابتهاج ثم وضع يده فى أحد جيوبه ، وأخرج منه قيداً حديديا

وتلاعبت على شفتى المفتش ابتسامة ذات مغزى . . فقد أيقن ان أسعد لحظات حياته قد حانت وانه على وشك تحقيق أعظم أمنية تاقت اليها نفسه

قال وهو يلوح بالقيد فى وجه لوبين : لقد حسبتك بادىء الأمر مدرساً فى إحدى الجامعات . . فقد كنت الى لحظة يسيرة اعتقد ان ارسين لوبين شاب معين لاحاجة بنا الى ذكر اسمه
وضحك ضحكة طروبا . . ثم استطرد : ابسط ذراعيك
وتقدم منه ، وهو يلوح بالقيد الحديدى ، فلم يتحرك لوبين ، وبقيت ذراعاه مرفوعتين فى الهواء

وعندئذ صاح المفتش بلهجة آمرة : قلت لك ابسط يديك! وحذار أن تحاول المراوغة أو الفرار وإلا اطلقت عليك النار . . انك الشيطان بعينه ولكنى لن أسمح ، أو أترك لك فرصة لاتمام إحدى ألاعيبك الشريرة

فقال لوبين بذلك الصوت العميق المتئد : انك مخطىء . . قد تستطيع أن تظفر بى ميتا ، وأحسب ان ذلك لن يرضيك ، ولكنك لن تأخذنى حيا . . لأننى لن أسمح لك
فانتفض المفتش سمرز . . وقطب حاجبيه . . وهم بالكلام ، ولكنه أمسك ، إذ دق جرس التليفون الموضوع فوق المكتب فى تلك اللحظة .. فشعر ديل برغبة جامحة فى التقدم من التليفون والتقاط السماعة . . ولكن سمرز نظر اليه متوعداً ، فهز كتفيه ، وتظاهر بأن الأمر لا يعنيه

قال المفتش : هلم يا لوبين ابسط ذراعيك أمامك !

فنظر اليه ديل ببرود ، ولم يجب .. فثارت ثائرة المفتش ، وتقدم منه وجذب إحدى ذراعيه إلى اسفل .. ولكنه عاد فتركها ، ونظر الى الباب من ركن عينيه . . ذلك انه سمع وقع اقدام فى الردهة وما لبث ان رأى بلكنز خادم مارتن ديل ينفذ الى الداخل وهو يرتدى معطفا منزليا أنيقا

ويختال فى مشيته . وقطب لوبين حاجبيه . . فقد زاد ظهور خادمه على المسرح من تعقيد الموقف .. وتقدم بلكنز من التليفون . وعندئذ سأله سمرز : هل عاد سيدك من الخارج ؟

فغمغم الخادم وهو يحملق فى وجه أرسين لوبين : كلا ، لم يعد بعد ياسيدى ، فهو ، كما أخبرتك لايعود من الخارج إلا متأخراً جداً . . لكن من . . من هذا الرجل ياسيدى ؟ — لاتأبه له . . أجب المتكلم ثم اطلب من العاملة أن تصلك باسكتلانديارد

— حسنا ياسيدى . . والتقط بلكنز السماعة بيد مضطربة وعندئذ كف جرس التليفون عن الرنين . . وساد الصمت هنيهة . .

وقال بلكنز : هالو ! من المتحدث ؟ ! ورمقه ديل بلهفة . . وهو يتساءل عمن عساه يكون المتحدث فى هذا الوقت المتأخر من الليل .

وما كاد يسمع صوت المتحدث فى التليفون ، حتى اندفع نحو بلكنز غير عابىء بمسدس المفتش سمرز . وانتزع السماعة من يد الخادم . . وعندئذ سمع صوتا نسائيا يهيب به بفزع شديد :

— مستر ديل ! مستر ديل ! تعال فى التو ! انهم ... أواه ! !

وأعقبت ذلك صرخة مؤلمة ، ثم ارتطام شيء بالأرض ، كأنما أسقطت سماعة التليفون من يدها عنوة .. وجمد ديل فى مكانه . . كان الصوت صوت فيرا آرليس . وكانت تتحدث بلهجة تنطوى على رعب عظيم

وشد قامته ، ونظر الى مسدس سمرز بتحد وقلة اكتراث .

كان موقنا ان فيرا آرليس فى خطر ، وانها أرادت الاستنجاد به ، ولكن شخصا لم يمكنها من ذلك .

وانتفض حين جال بخاطره ماقد يكون حل بالفتاة فى تلك اللحظة

— ٦ —

عندما افترقت فيرا عن أرسين لوبين ، انطلقت إلى حيث كانت سيارتها فى انتظارها وهى تقبض على الدبوس بعنف . . ومع انها كانت تشعر بالارتياح فانها لم تسقط من حسابها ثقل المسئولية الملقاة على عاتقها . كانت تعلم انها حارسة على شيء أكثر من الموت أو الحياة بالنسبة اليها .. فقد حتمت ظروف

مؤلمة ضرورة الاحتفاظ بهذا الدبوس ، بحيث لايقع في أيدي أشخاص قد يستعينون به على ادراك مآربهم الجهنمية

ومن ثم قررت فما بينها وبين نفسها الا تسمح لأحد بالاستيلاء على الدبوس مستقبلا ، وخطر لها أن تحطمه ، أو أن تخبئه حيث لا يستطيع أحد الوصول اليه .. ولكنها أدركت انها عاجزة عن انفاذ احدى الفكرتين في تلك اللحظة ، فآثرت الانتظار ريثما تفكر في الأمر مليا

وكان سائقها وليام ينتظرها بالسيارة عند نهاية الساحة . . ومع انها لم تكن تثق بهذا السائق كثيرا ، فقد زادت ريبتها فيه في تلك الليلة اذ انه كان لا يفتأ ينظر اليها نظرات غريبة حارت في تفسيرها أو تأويلها . حتى لقد أخذ الذعر يتمشى إلى قلبها . . وجسم لها الوهم المخاطر الشديدة التي تنتظرها بعد أن ظفرت بالدبوس من أرسين لوبين

خطر لها ان وليام متآمر ضدها مع تلك القوى الخفية التي تسعى لتحطيم حياتها بالاستيلاء على الكنز الثمين . . فانتفضت ، وجزعت . .

وكانت السيارة تقف امام واجهة احد الحوانيت . . فنزل الوحي على الفتاة فجأة . . وتهللت اساريرها . ورآها وليام وهي مقبلة ، فهبط من مقعده ليفتح لها باب السيارة ، ولكنها طلبت اليه ان يتمهل ريثما تبتاع شيئا من الحانوت . . ثم مرقت من باب الحانوت قبل ان يتمكن السائق من الكلام وهمست لاحدى البائعات : اريد غلافا متينا من فضلك فأسرعت العاملة لتلبي طلبها . . ودفعت فيرا الثمن ، وتحولت كأنما لتنصرف ، وفي غفلة من الجميع . وضعت الدبوس داخل الغلاف . . ثم اغلقته بعناية شديدة . . واستعرضت في ذهنها اسماء صديقاتها وما لبثت أن سجلت اسم وعنوان احداهن فوق الغلاف .

وغمغمت قائلة لنفسها : لاريب ان ليليان ستصعق عندما تتلقى هذا الغلاف ، فيجب ان اتصل بها تليفونيا بمجرد وصولي إلى المنزل لأعدها للمفاجأة المنتظرة وخيل اليها ان وليام ينظر اليها نظرة غريبة وهي تتقدم من صندوق البريد ، وتقذف بالغلاف في جوفه ولكنها لم تعبأ به وشعرت باطمئنان عظيم عندما ما ايقنت ان الدبوس قد اصبح في مكان

حريز .   وعادت الى السيارة ، فانحنى لهـا وليامز باحترام شديد . . وما كادت تصعد اليها ، حتى تنفست الصعداء ، وامرت وليـام بالذهاب الى المنزل .   ووثب السائق امام مقعـده وبدأت السياره تتحرك ، ولم تلبث ان أخذت تنهب الارض نهبا بسرعة مخيفة .

وبينما كانت الفتاة تسبح فى واد من الخيالات والاوهام . . حانت منها التفاتة عابرة إلى عرض الطريق ، وما لبثت ان انتفضت . عنـدما تبينت السرعة الهائلة التى تسير بها السيارة . ولاحظت أن السائق لايسير فى اتجاه المنزل . . وانما يسلك طريقا مظلما كثير الانحناءات

ومالت نحو فوهة الأنبوبة التي تصلها بالسائق . ولـكنها أحست وكأن عينين كعينى الصقر تراقبانها من ركن السيارة الآخر . فالتفتت مذعورة . . وعندئذ سمعت صوتاً يقول لها :

— لاجدوى ياآنسة آرليس . ان لدى وليام أوامره ، ومن العبث ان تحاولى اقناعه بالامتثال لأوامرك . خير لك أن نتجاذب أطراف الحديث أولا

وانـكمشت الفتاة فى مكانها . وراحت تحدق فى وجه محدثها مرتاعـة ، مسلوبة اللب . وما لبث الرجل أن وضع يده فوق كاهلهـا ، فأحست وكأن اصابعه توشك ان تقبض على عنقها كيلا تصرخ اذاخطر لها الصراخ .

واستطرد الرجل : ان مصلحتك تقضى عليك بالسيطرة على أعصابك ، فطالما تلزمين جانب التعقل والرزانة فلن يصيبك ضر . إنى أريدك على أن توضحى لى امراً او أمرين . من كان الرجل الذى تحدثت اليه فى الساحة ؟

فقالت الفتاة . وقد عاودتها شجاعتها ، عنـدما ادركت ان الدبوس قد اصبح فى مأمن : وماذا يحدث لو رفضت الـكلام ؟

فقال الرجل بلهجة كلها وعيد : من الحـكمـة ان تتكلمى . فان الوقت أثمن من ان يضيع فى حديث لاجدوى منه . لقد كنت مراقبـة بدقة خلال الأيام الأخيرة دون ان تفطنى

فقالت الفتاة ساخرة : انك تثير فضولى ياسيدى . لـكن من الذى وضعنى تحت المراقبة ؟   فضحك الرجل ضحكة غريبة . وقال :

— اوه . . دعينا منه . فقط اصغي الى . . لقد كان فى تصرفاتك أمس واليوم مايثير الاهتمام . ففى ساعة مبكرة من صباح اليوم ذهبت الى منزل مارتن ديل . وقابلت الليلة رجلا آخر . وقد اعطاك هذا الرجل شيئامعينا وانا اريد هذا الشىء ! فنظرت فيرا اليه نظرة اهتمام وسرها انها استطاعت ان تنتصر عليه . ولما استبطأها الرجل فى الاجابة استتلى قائلا بصوت حاد : أين هو ؟ خير لك ان تسلميه دون جلبة . إنى لا أريد ايذاءك فقالت بسخرية : انك رجل متواضع ياسيدى . لكن كيف يستطيع الانسان ان يعطى شيئاً ليس فى حوزته ؟

فشهق الرجل . وتمتم بضع كلمات غير مفهومة . ثم انقض على حقيبتها اليدوية . وانتزعها منها . فأطلت الفتاة من النافذة لكنها لم تستطع ان تميز شيئاً غير صف مستطيل من المنازل المعتمة . فادركت ان السيارة تسير بها فى القسم الشمالى الشرقى من لندن وهو احقر احياء المدينة جميعا

وكان الرجل قد قلب الحقيبة ظهراً لبطن . ولما تأكد ان الدبوس ليس بداخلها قذف بها فوق ارض السيارة . وجرى بيده فوق ثوب الفتاة وفتش جيوبها . وفى تلك الاثناء كانت يده الأخرى على مقربة من عنقها استعداداً لخنقها فيما لو خطر لها ان تصيح فى طلب النجدة

وأخيراً سب الرجل ولعن . ثم كف عن التفتيش .

وابتسمت فيرا ، وسألته بتهكم : هل اقتنعت ؟

فاجابها بصوت منفعل : كلا . . أما انك تحتفظين به فى أحد أجزاء ثوبك ، أو انك تعرفين أين .

وقرب وجهه من وجهها . ثم استطرد بحدة : ماذا كان يحوى ذلك الغلاف الذى القيت به فى صندوق البريد قبل أن تصعدى الى السيارة مباشرة ؟

فضحكت الفتاة ضحكة خافتة . وأدركت أن الرجل قد رآها وهى تلقى بالغلاف فى صندوق البريد ، ولكنه لم يفطن الى أن الدبوس كان به !

قال الرجل ، وقد أيدت ضحكتها شكوكه : انك شديدة الذكاء يافتاة ما كان يخطر ببالى أن تلجئى الى هذه الحيلة البارعة . ولكنها مع ذلك لن تفيدك شيئا . سوف أجعلك تتحدثين رغم أنفك . فمهلا

وقرب فمه من فوهة انبوبة الكلام . وخاطب وليام بصوت خافت . .
وما لبث السائق أن هدأ من سرعة السيارة . وأدارها فى اتجاه مضاد .

وفى اللحظة التالية أحست فيرا بما يشبه فوهة مسدس ، تلتصق بجانبها وسمعت رفيقها يقول بصوت ينذر بالشر : حذار أن تتحركى .

وبعد ربع ساعة بدأت السيارة تخفف من سرعتها . ومالبثت أن توقفت أمام باب منزل عتيق . فقال الرجل وهو ينظر من نافذتها :

— سنهبط هنا . فاذا كنت تقيمين وزنا لحياتك فخير لك أن تعتصمى بالهدوء . وفتح باب السيارة ، ثم هبط منها . وجذب الفتاة بعنف الى الخارج . وحملها بين ذراعيه عبر الافريز .

حدث كل ذلك فى لحظات معدودات ، فلم تجد فيرا من الوقت متسعاً للمقاومة . وفتح رفيقها باب الدار ، ودفعها الى الداخل . ثم جذبها نحو الدرج . وأرغمها على صعوده بهدوء تحت تهديد المسدس .

وأخيراً توقفا أمام أحد الأبواب ، وبينما كان الرجل يخرج المفتاح من جيبه ! استطاعت الفتاة ان ترى لوحة مثبتة على أحد جانبى الباب ، وقد كتب فوقها هذه العبارة : « مكتب درينون للبحث السرى الخاص » . .
وعندئذ زادت مخاوفها وشكوكها . فقد طالما سمعت عن هذا المكتب وما أصاب من سمعة سيئة ، وما اشتهر به مؤسسه من الالتجاء الى الوسائل المشروعة وغير المشروعة لبلوغ ماً

وفتح الرجل الباب ، وأشار اليها بالدخول . ولم يتمهل ريثما يضىء النور وانما سارع أولا باغلاق الباب بالمفتاح . ثم ضغط زر النور . فغمر الضوء الغرفة

واجالت فيرا بصرها فيما حولها . . فرأت نفسها فى غرفة مكتب حقيرة ، ولكن الرجل لم يترك لها وقتا للتأمل . . اذ بادر وفتح بابا جانبيا ، وقال بلهجة صارمة : تعالى هنا ! !

ولم تجد فيرا مفراً من الانصياع لأمره . . ودخلت الى غرفة صغيرة لانوافذ فيها ولا وسائل للتهوية ! وقد اكتظت جدرانها بالحافظات والملفات

وأغلق الرجل الباب بعنف . . فساد الظلام . . وبعد لحظة من التردد تقدمت فيرا من الباب . . وأدارت مقبضه بهدوء . . ثم غمغمت باستياء

— سجينة !! وساد صمت مقبض .. وبدأت أعصابها تتوتر .. من تأثير الذعر الذى اخذ يستحوذ عليها .. فبدأت شجاعتها تخونها .. ولكنها لم تلبث أن سمعت صوت الرجل وهو ينطق برقم ، فايقنت أنه يتحدث فى التليفون . . واعقب ذلك لغط خافت لم تستطع ان تميز منه شيئا ، ولكنها أدركت أنها محور الحديث . . وان الشخص الذى يحدثه سجانها يدعى درينون لعله مدير المكتب .

وبعد هنيهة ساد الصمت مرة أخرى . . ثم فتح الباب . . وأقبل الرجل عليها ، وهو ينظر اليها بعينين يتطاير منهما شرر الغضب .. وقال بصرامة :

— هناك شيء واحد أريد أن أعرفه . . لكن اعلمى أولا اننى لن أجد صعوبة فى حملك على الكلام برغمك ، فاياك والمراوغة .. لأننى مصمم على أن انتزع منك المعلومات التى أريدها قبل أن تغادرى هذا المنزل

وكف عن الكلام هنيهة كأنما ليترك لها فرصة لتستوعب تهديده . . ثم استطرد : ماذا كان العنوان الذى كتبته فوق الغلاف ؟

فانتفضت فيرا . . اذ لم يكن قد خطر ببالها حتى تلك اللحظة ان الرجل سيحاول الحصول على الغلاف قبل ان يسلمه ساعى البريد الى المرسل اليها

وآثرت أن تلتزم الصمت مؤقتا ، فلم تجب .. وعندئذ استطرد الرجل :

— حذار من الكذب أيضاً .. واعلمى ان ليس ثمة جدوى من املائى عنوانا مزيفاً وحدقت الفتاة فى وجهه .. وراحت تفكر بسرعة .. فقبض الرجل على ذراعها ! اسفل المعصم قليلا ، ثم ضغط براحة يده اصبعها البنصر الى الخلف بوحشية ، فأنت أنيناً موجعاً ..

وصاح الرجل : تكلمى !! اسرعى !!

أحست الفتاة بألم لا يطاق يسرى فى كل جسدها .. ولكنها مع ذلك لم تجب .. فقال الرجل : هذا فقط لون بسيط من الوان التعذيب التى تنتظرك اذا أصررت على الصمت

ولم تجد الفتاة منجاة مما ينتظرها غير ان تذكر له عنوانا مزيفاً .. وبذلك تظفر على الاقل بهدنة ، قد تستطيع خلالها أن تتدبر أمرها ، وتجد لها مخرجا من هذا المأزق الخطير . .

وراحت تستعرض عنوانات صديقاتها .. والأماكن التى تعرفها .. وما لبثت أن نطقت باحدها على غير وعى منها .. وقالت :

— بارك لين ٦٩ ! وفى التو ، خفف الرجل الضغط عن أصبعها وحملق فى وجهها بحدة .. ثم صاح : ٦٩ بارك لين ؟ !

وتهللت أساريره . . ونظر الى ساعته .. وهز رأسه . . فعجبت الفتاة لمسلكه .. لقد كذبت عليه ومع ذلك بدت عليه سمات الرجل الواثق من أنها نطقت بالصدق .. وزاد عجبها وهى ترى كيف كان للنطق بهذا العنوان وقع السحر .. ولكنها كانت فى حالة شديدة من الاعياء ، لم تساعدها على التفكير المرن فتهالكت فوق المقعد المجاور للمكتب لتستعيد قواها

ووقف الرجل قبالتها .. ونظر إلى ساعته مرة أخرى . . ثم قال :

— انى واثق انك قلت الصدق .. ولكننى لن أترك شيئا للصدف فسأبقيك هنا حتى يوزع بريد الصباح الأول .. فنامى الليلةمطمئنة ولاتخشى شيئا .. وأغلقت فيرا عينيها .. وأخذ رقم ٦٩ يتبخر من رأسها تدريجا . . وكانت قواها قد بدأت تعود اليها .. ففتحت عينيها مرة أخرى ولم تجد للرجل أثراً فى الغرفة ، ولكنها سمعت وقع أقدامه وهو يتحرك فى الغرفة الصغيرة ، التى كانت سجينة فيها . . وكان باب الغرفة مفتوحا . . فحدقت فى المفتاح الموضوع فى القفل ووثبت الى عقلها فكرة جريئة جعلتها تبتسم بخبث .. نهضت فجأة عن مقعدها .. ثم عبرت الغرفة فى هدوء تام . . وكان الرجل لايزال يتنقل فى الغرفة ، وهو يقلب حافظات

الملفات كأنما يبحث عن شيء معين . ويبدو انه كان مطمئنا إلى ان الفتاة لن تقوى على المقاومة أو الحركة فترة من الزمن .

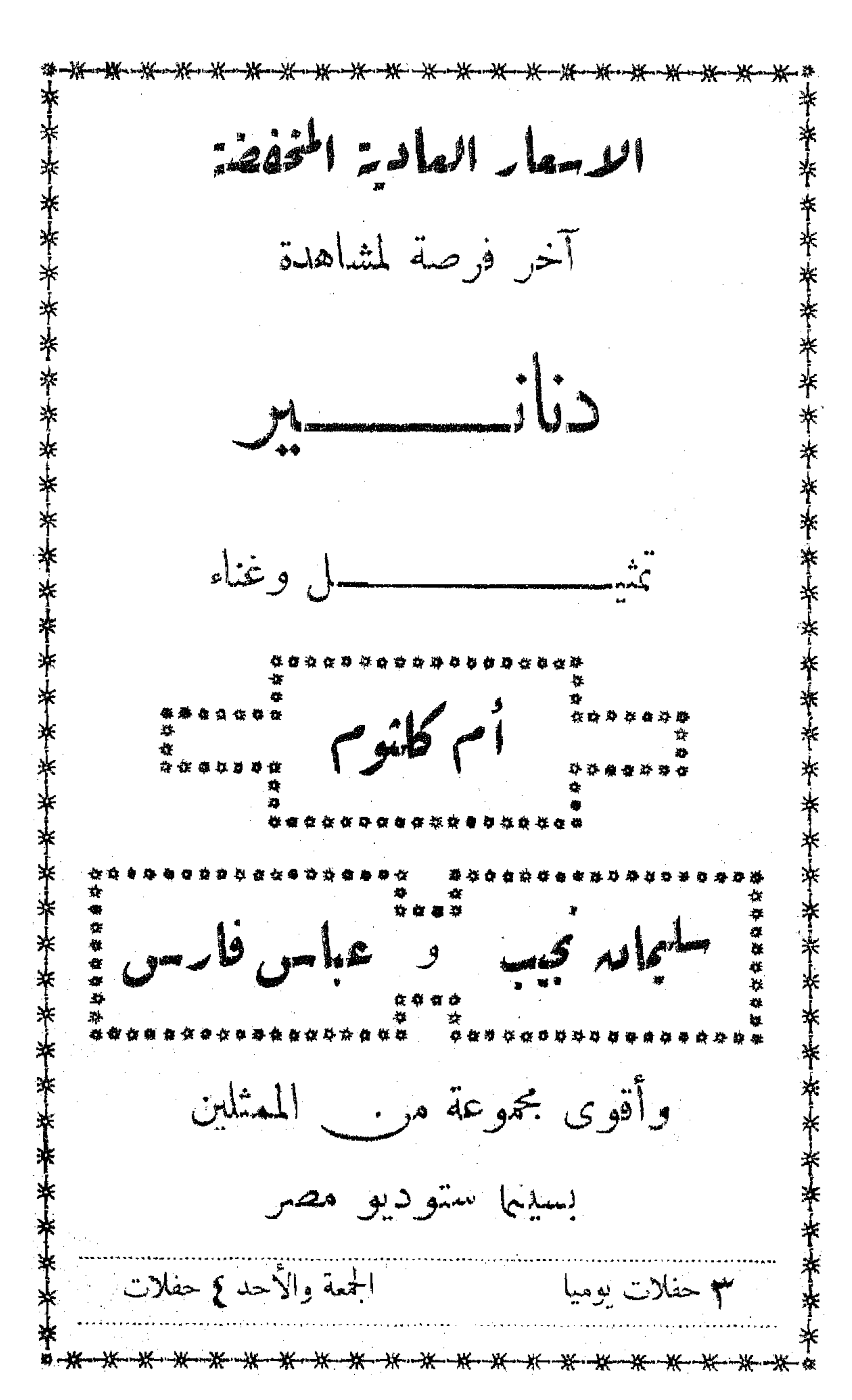
وتقدمت من الباب .. ثم جذبته فى حركة سريعة ، وأغلقته بالمفتاح . . وفى التو سمعت من داخل الغرفة صيحة تنم عن الغضب . فضحكت بسخرية وأسرعت الى الباب الخارجى .. ولكنها وجدته مغلقا ، وتذكرت ان الرجل كان قد وضع المفتاح فى جيبه . . فتلفتت حولها إلى النوافذ، ولكنها أيقنت انه من المستحيل ان تتمكن من الفرار عن طريقها لارتفاعها مالا يقل عن مائة قدم عن الأرض . وكان سخط الرجل قد بدأ يشتد فى تلك اللحظة . فانهال من فمه سيل من السباب والصخب . وانقض على الباب بكتفه محاولا تحطيمه . فادركت الفتاة انها ان لم تبادر بالعمل ،فسيكون قصاص الرجل منها رهيبا . وحانت منها التفاتة الى التليفون . فسرى الأمل فى نفسها . ومدت يدها إلى السماعة ،ولكنها سرعان ماعادت فسحبتها . فقد كان أول ما جال بخاطرها أن تتصل بالبوليس فى طلب المعونة ولكنها عادت فادركت أن موقفها من البوليس سيكون شديد السوء فيما يتعلق بالدبوس الأخضر . وخطر لها أن تتصل بأبيها ، ولكنها تذكرت ان أباها لن يكون أقل شفقة عليها من البوليس،لأنه بدوره يسعى للحصول عليه . وعندئذ راحت تستعرض فى مخيلتها أسماء الرجال من أصدقائها . . فقد كان الموقف يتطلب رجلا ذا ساعد قوى وعقل واسع .

وسمعت فيرا صوت تحطم شديد صادرا من ناحية باب الغرفة الصغيرة أعقبته قرقعة أشد ، فنظرت إلى الباب من فوق كتفها . وبدأ اليأس ينتابها عندما رأت بضع قطع صغيرة من الخشب تتناثر داخل الغرفة .

وفى اللحظة التالية غمغمت بارتياح : آه ! سأتصل بمارتن ديل ! !

والتقطت سجل التليفونات . . وأخذت تقلب صفحاته على عجل فلما عثرت على الرقم المنشود التقطت السماعة ، وطلبت من العاملة أن تصلها بهذا الرقم . . ومرت اللحظات ثقالا ، قبل أن تسمع صوتا من الناحية الأخرى . . فصاحت بلهفة : مستر ديل !! مستر ديل !! النجدة ..

ولم تستطع أن تضيف الى ذلك حرفا واحداً . . فقد تحطم الباب فى


الأسعار العادية المخفضة
آخر فرصة لمشاهدة
دنانـــير
تمثيـــل وغناء
أم كلثوم
سليمان نجيب و عباس فارس
وأقوى مجموعة من الممثلين
بسينما ستوديو مصر
٣ حفلات يوميا
الجمعة والأحد ٤ حفلات

تلك اللحظة . . وانقض عليها سجانها فانتزع سماعة التليفون من يدها عنوة . . وقال بصوت يتهدج من فرط الغضب :

— سوف تندمين أشد الندم على تصرفك هذا أيتها الفتاة

— ٧ —

ظل ديل يحدق فى فوهة المسدس بعينين كعينى الصقر . وكانت صرخة الاستغاثة لاتزال تدوى فى أذنيه . . ولم يكن يشك فى أن سمرز قد سمعها أيضا ، فقد رآه ينظر إلى سماعة التليفون من ركن عينه . . واما باكنز فكان لا يزال يحمل السماعة فى يده . . وهو يردد الطرف بين الرجلين .

وغمغم الخادم : ان شخصا . . اعنى سيدة . . تستفسر عن مستر ديل يا سيدى . . ويخيل الى انها فى شدة .

وساد الصمت بضع لحظات . . وأخيرا قال ديل بذلك الصوت العميق المتهدج موجها الحديث إلى المفتش : هل لى أن اقترح عليك الاتصال بعاملة التليفون لكى تخبرنا من أين صدرت المكالمة التليفونية ؟ فى استطاعتك أن تطمئن إلى وعدى بانى لن اتحرك من مكانى حتى تفرغ من هذا الاتصال

فنظر اليه سمرز نظرة ارتياب . ولعله خشى أن يكون فى الأمر خدعة . ولكنه تبين من نظرة اللص انه غير هازل فيما يعد . ومن ثم التقط السماعة بيده الطليقة ونطق ببضع كلمات . . وبعد لحظات من الانتظار ، اجهم وجهه . وغمغم : لقد صدرت المكالمة من شافتسبورى ٤٠٠٤ . هذا عنوان مكتب درينون للبحث الجنائى الخاص . ياللعجب ، ما الذى يفعله هؤلاء الاوغاد الآن ؟! وتردد هنيهة . ثم قال :

— حسنا . . سأتصل باسكتلانديارد ! وآمر اثنين من رجال البوليس بالتوجه اليه للتحقق مما يحدث فى هذا المكتب المريب

وللمرة الثانية التقط المفتش سماعة التليفون .. وهو حريص على مراقبة (أرسين لوبين) ومسدسه مهيأ فى يده لاطلاقه عند الضرورة .

فقال ديل : قد يقتل شخص خلال الفترة التى ستنقضى بين اتصالك برجالك وبين انطلاقهم إلى هناك . . فلماذا لاتذهب بنفسك ؟ اعدك بشرفى الا اتحرك من مكانى حتى تعود قهقه سمرز ضاحكا

وصاح ساخرا : اتظننى طفلا يالوبين حتى اصدقك ؟

فأجاب ديل باصرار : اذن فقد انتهت الهدنة التى عقدناها .

كان يعلم ان سمرز لن يتردد فى اطلاق النار عليه لو أنه حاول الفرار .. ولكنه كان موقناً أيضا ان المفتش لا يحتمل اطلاق النار على رجل يتقدم منه فى شجاعة ، مزدريا المسدس المصوب إلى صدره . . ومن ثم شرع يقترب منه بخطى وئيدة . . فوضع المفتش السماعة فى مكانها . . وحدق فى وجه ديل . . ثم صاح بلهجة آمرة : قف وإلا أطلقت النار عليك !

فلم يعبأ لوبين بالانذار . . ولم يصدق سمرز عينيه .. فقد ظل ديل يتقدم نحوه ، وقد تألقت فى عينيه نظرة تحد وقلة اكتراث .

وتوقف أمام فوهة المسدس تماما . . فنظر إليه سمرز محيرا . . ذلك أنه لم يسبق ان رأى رجلا ، حتى أرسين لوبين نفسه ، يتحدى الموت بهذه البسالة النادرة . وفى اللحظة التالية تلقى المفتش مفاجأة جديدة .. ذلك ان أرسين لوبين مد يده ، واختطف المسدس منه فى حركة سريعة . . ثم غمغم : شكراً لك أيها المفتش .. إنك رجل شهم !

وكان ذلك أعظم اطراء صدر من أرسين لوبين فى حياته الحافلة بالمغامرات لرجل بوليس وفى اللحظة التالية استدار لوبين على عقبيه .. ومرق من باب الغرفة كالسهم . . فجمد المفتش والخادم على السواء فى مكانهما من فرط المفاجأة .. وما لبثا ان سمعا الباب الخارجى يغلق بعنف فدبت الحياة فجأة فى المفتش ! وانقض على التليفون ، والتقط السماعة

وأما ديل فانطلق من فوره إلى الشارع .. ثم إلى أقرب تليفون عام . . ومن دليل التليفونات استطاع أن يعرف عنوان مكتب درينون . . وبعد خمس دقائق كان يستقل سيارة تاكسى ومنطلقة به بأقصى سرعتها

وتوقفت السيارة أخيراً فى شارع صغير معتم ، فوثب ديل إلى الافريز ، والقى للسائق بقطعتين من النقود الفضية . . ثم أرسل بصره فى أرجاء الطريق ، فلما استوثق من اقفاره من الرقباء تقدم من باب المنزل فى خطى سريعة . كان الباب مغلقا ، ولكنه لم يستعص على براعته فلم تنقض بضع ثوان حتى كان يتسلل إلى الداخل

واستطاع ديل ان يعرف موقع مكتب درينون من صناديق الخطابات المعلقة فى صحن المنزل . . وأخذ يرتقى الدرج مثنى مثنى ، حتى بلغ الطابق الخامس . وأصاخ السمع . . ولـكنه لم يسمع صوتا أو ير ضوء صادرا من داخل الشقة .. فساورته الريبة .. واستعان بالآلة الحادة على فتح الباب فى هدوء .. وراح يتحسس الجدار بيده باحثا عن مفتاح النور ، فلما غمر الضوء المكان ، بدرت من فمه صيحة تدل على فرط الاستياء

لم يجد أحـدا بالغرفة والفى باب الغرفة الصـغيرة محطما فهز رأسه فى اكتئاب ورأى دليل التليفونات مفتوحا ، فتقدم منه .. فوقع بصره على حرف (د) بأعلى الصحيفة فابتسم .. وحاول ان يتصور ماحدث بالضبط . . كانت صرخة الاستغاثة التى سمعها فى التليفون دليلا قاطعاً على أن الآنسة آرليس كانت فى خطر شديد . . ولا ريب أنها لم تتمكن من الاستغاثة لأن شخصاً انقض عليها وهى تتحـدث تليفونيا وانتزع السماعة من يدها . ومن المحتمل أن الرجل قد خشى أن يحاول الشخص الذى اتصلت به الفتاة ، سؤال عاملة التليفون عن مصـدر المكالمة ، ومن ثم اضطر الى ترك الدار مع الفتاة . ولم يدع لديل دليـلا واحداً على المكان الجديد الذى انتقلا اليه .

وشعر ديل بالأسف لأنه لم يتعقب الفتاة عندما انصرفت من مقابلته . . فلو أنه فعل . فربمـا كان قد استطاع أن يجنبها المتاعب الجمة التى تعرضت لها

ولـكن مافائدة الأسف . وقد وقع المـكروه . ثم انه كان مقدراً تمـاما للخطر الذى يتعرض له بالبقاء طويلا فى المـكتب . فلا ريب أن سمرز سيقيم الدنيا ويقعدها للبحث عنه . وربما كان قد أعطى أوصافه لاسكتلانديارد فى تلك اللحظة . وأذيعت فى أنحاء المدينة لينشط رجال البوليس جميعا للقبض عليه وأدرك ديل انه غير مستطيع أن يفعل شيئا من أجل الآنسة آرليس فى الوقت الحاضر . وعول على التخلص أولا من تنكره ليتمكن من العمل بحرية وبلا خوف . ومن ثم أطفأ النور ،وراح يهبط الدرج ، ولـكنه ما كاد يتوسطه حتى سمع وقع أقدام ترتقيه ، وكان أول ماخطر له أن القادم هو المفتش سمرز ، وعندئذ تراجع الى الخلف

والتصق بالجدار ، حتى مر القادم من أمامه دون أن يراه ، ومن ثم هبط ديل بقية الدرج ، ونفذ الى الشارع ، وتلفت حواليه بحذر ، فلما اطمأن الى أن كل شيء على مايرام هرع الى أقرب موقف للسيارات ، واستقل سيارة . انطلقت به الى منزله السرى فى بادنجتون .

وبعد نصف ساعة غادر مارتن ديل منزله السرى . وقد تخلص من تنكره واطمأن الى ان سمرز لن يرتاب فى أمره . ولم يكن قد رسم خطة للعمل بعد. ولكنه رأى أن يعود الى مكتب درينون حيث فقد أثر الآنسة آرليس . وحيث يستطيع أيضاً ان يبدأ بحثه عنها

وما كاد يصل الى المكتب حتى رأى الضوء مشتعلا ، ولكن المكان كان خالياً . فادرك ان سمرز أو من جاء الى المكتب .. فتش المكان ابان غيبته . ثم انصرف دون أن يطفىء النور .

فبدأ مهمته من فوره وراح يفتش الغرف جميعا دون أن يقع على أى أثر يهديه الى مكان فيرا . وأخيراً . أدرك ألا فائدة من الاستمرار ، وتهيأ للانصراف . ولكنه ما لبث أن سمع وقع أقدام ترتقى الدرج . فاطفأ النور على عجل . وركض الى الغرفة الصغيرة ، واغلق الباب المحطم خلفه

وأخرج مسدسه من جيبه . وانتظر . وان هى الا هنيهة حتى ولج غرفة المكتب رجل . استطاع ديل أن يرى من خصاص الباب انه طويل القامة ذو شارب أصفر قصير ، اسمر البشرة

ووضع القادم قبعته على المكتب . وجلس فوق المقعد ثم أشعل غليونه وراح يدخن فى هدوء .

وفجأة ، تمتم الرجل بكلام غير مفهوم . ثم انبعث واقفاعلى قدميه ، وتقدم من باب الغرفة الصغيرة . . فتراجع ديل الى الخلف واحتجب خلف أحد دواليب الملفات . وقد أعد المسدس فى يده على أهبة العمل اذا اقتضى الأمر

وفتح الرجل الباب . ثم أطل الى الداخل وهو ينطق بكلام يدل على استيائه وحنقه . فانكمش لوبين فى مخبئه . واختلس النظر من خلف الدولاب . فرأى الرجل يتلفت حواليه فى ضجر ، وقد عبس وجهه

وغادر الرجل الغرفة بعد قليل ، فقد سمع وقع خطوات بالخارج . . ثم

فتح باب الشقة ، ونفذ الى الداخل رجل آخر . .

وصاح ذو الشارب الأصفر ، وهو يشير الى الباب المحطم : مامعنى هـذا بحق الشيطان ياونيكل ؟ فضحك ونيكل ضحكة شيطانية . . وأجاب : معناه انى كنت مضطراً الى مطاردة إحدى قاذفات اللهب !! لكن لم كل هذا الانفعال يادرينون . . لم يحدث شيء خطير . . وقد نقلت الفتاة الى مكان أمين — لكن الباب . . . .

— أوه ! انه لن يكلفك أكثر من جنيهين لاصلاحه .. دعنى أحدثك بالقصة منذ بدايتها . . فانى لم أستطع ان أذكر لك كل شيء إبان حديثنا التليفونى . . لقد استدعت الآنسة آرليس سيارة ابيها بعـد الساعة الثامنة بقليل ، وأمرت وليام بالانتظار على مقربة من ساحة برايانت .. وفى الساحة قابلت رجلا يرتدى ثوبا رمادى اللون ، ويضع عوينات فوق عينيه .. وتحدثا معا هنيهة . . وقد تبادر الى ذهنى ان الدبوس الأخضر المفقود كان مدار حديثهما ، ولكنى لم أستطع ان التقط كلمة منه وكل مالاحظته ، انها كانت بادية الانفعال عند انصرافها و . . فأسرع درينون وأتم له عبارته : وقد ارتبت فى انه أعطاها الدبوس المنشود . .

— نعم . . وقد خطر لى ان ألجأ الى الحيلة . . فذهبت الى السيارة . . وأصدرت الى وليام التعليمات اللازمة . . ووافق على انفاذ هذه التعليمات . . وصعدت الى السيارة ، وجلست فى انتظار عودة الفتاة .. ورأيتها تدخل حانوتا عند ناصية الميـدان ، ولكنى لم أرتب فى شيء وقتذاك ، لعلمى بأن النساء كثيرا مايخترن أوقاتا غير مناسبة لابتياع حاجاتهن . . وبعد هنيهة غادرت الفتـاة الحانوت ، وألقت برسالة فى صندوق البريد . . فلم ارتب فى ذلك أيضا . . ولكنى لم ألبث بعـد قليل ان اكتشفت . . .

فقاطعه درينون بلهفة : لا أحسبك تعنى . . . .

فقال ونيكل بهدوء : مهلا .. ان كل شيء على مايرام . . وغدا صباحاً سنصبح ، أنا وأنت ، من أصحاب الثروات . . لاريب ان الآنسة آرليس قد ساورتها الريبة فى شأن وليام ، فقـد كانت تطيل النظر اليه بحنق . . ومن ثم وضعت الدبوس فى غلاف الرسـالة التى ألقتها فى صندوق

البريد فغمغم درينون بحنق : إنك أحمق ياونيكل

— قلت لك تمهل . . لقد اصطحبت الفتاة الى هنا واستطعت ان أقنعها رغم أنفها بذكر عنوان الرسالة . . وغداً صباحاً . عندما يحين موعد توزيع أول بريد ، سنذهب معاً ونحصل عليها

— وماذا كان العنوان ؟ واختلس ديل النظر من مخبئه الى وجه ونيكل . . فألفاه باسما ، ترتسم عليه دلائل الزهو . .

أجاب الرجل : كان فى استطاعتى ان أتكهن به حتى ولو لم تصارحنى به الفتاة . . انه رقم ٦٩ بارك لين . . ولا عجب فى ذلك فهو المكان الوحيد الذى يصلح لاستقبال مثل هـذه الرسائل

وصمت درينون هنيهة كأنما ليفكر . . ثم قال : ٦٩ بارك لين ؟ ! هذا هو المنزل الذى قتلت فيه تريز فينابل . . أليس كذلك ؟

— نعم . . ولكن ليس هذا كل شئ . . اذ يبدو أن الفتاة اختارت هذا العنوان بثقة واطمئنان ، لأن المنزل ملك ابيها السير مالكولم آرليس وقد ظل المنزل شاغرا منذ وقعت فيه جريمة القتل . . وعلى ذلك فان الفتاة كانت تعتقد انها ستستطيع الذهاب اليه قبل موعد توزيع بريد الصباح الأول وتتسلم الرسالة بنفسها . . لقد غاب عنى أن اسألها عن الاسم الذى وجهت اليه الرسالة ، ولكني اعتقد أنه ليس بالأمر الهام ، فكل مايهم موزع البريد هو ايصال الرسائل إلى العناوين المدونة فوقها

وخيل كأن درينون اقتنع بقول زميله . . اذ ادار دفة الحديث إلى ناحية أخرى . . قال :

— وماذا بشأن هذا الباب المحطم ؟ !

فقال ونيكل بضجر :أوه ! الاتكف عن هذا اللغو ؟! لقد استطاعت الفتاة أن تسجننى فى الغرفة الصغيرة اثناء انهماكى فى البحث عن شئ معين وارادت الاتصال ببعض اصدقائها فى طلب النجدة فاضطررت إلى تحطيم الباب قبل أن تتمكن من التحدث إلى من ارادت الاتصال به .

فانتفض درينون . وسأل بلهفة : ومنذ الذى اتصلت به ؟

— لا اعلم . . ولكن لاأظنها استطاعت ان تنطق بأكثر من كلمتين

اثنتين .   فقطب درينون حاجبيه ، وقال : لنفرض أن الشخص الذي اتصلت به استطاع أن يتعقب مصدر المكالمة . .

— لا اظن ذلك يادرينون . . انني لست متأكدا من انها اتصلت به فعلا . . ولقد نقلت الفتاة من هنا من باب الحذر والحيطة

— والى اين ذهبت بها ؟   فقال ونيكل ، وهو يضج بالضحك :

— إلى المنزل رقم ٦٩ بارك لين .. انها لن تستطيع أن تحرك ساكنا قبل ان نبت في امرها . . بالطبع . . لم يكن في استطاعتي أن أطلق سراحها قبل أن نحصل على الدبوس الاخضر . . وقد خيل إلى ان هذا المنزل الخالى خير مكان يصلح لسجنها حتى ينتهى كل شئ . . واكبر ظنى انها لم تكذب عندما قالت لى ان هذا هو العنوان الذى بعثت اليه بالدبوس — فقد كانت فى حالة لاتسمح لها بالكذب . . وعلى فرض انها قد كذبت ، فسأتمكن من ارغامها على ذكر الحقيقة صباح غد

فأومأ درينون برأسه مفكرا . . وسكت . .

وادرك ديل أنه ظفر بأكبر قسط من المعلومات . . فبرز من مكمنه بهدوء . . واقترب من باب الغرفة المفتوح . . ووقف خلفه . . واستطاع أن يرى ابتسامة خبيثة ترتسم على شفتى درينون . ثم سمعه يسأل ونيكل :

— وكيف استطعت دخول المنزل رقم ٦٩ بارك لين ؟

— بطريقة مشروعة لاغبار عليها . تركت الفتاة فى منزلى موثقة اليدين والقدمين . ثم ذهبت لمقابلة السير مالكولم آرليس فى منزله ، وحصلت على المفتاح منه . كان يكفى أن أشير من طرف خفى الى السبب الذى أريده من اجله . ومن ثم قدمه لى من فوره . انه رجل عجيب يا عزيزى ! !

جمد ديل فى مكانه .. فقد كانت عبارة ونيكل الاخيرة غامضة كل الغموض .. ولكنها تشير الى ان للسير مالكولم آرليس ضلعا فى المؤامرة . . وتذكر فى تلك اللحظة قول فيرا ان أباها يقلب السماء والارض بحثا عن الدبوس المفقود .. ولكنها لم تذكر له أنه يعمل ضدها . . ومن ثم أيقن ان هناك اختلافا فى وجهات النظر بين الاب وابنته .. وخيل اليه أنه من المحتمل أن يكون السير آرليس قد استخدم درينون للقضاء على كل محاولة تقوم بها ابنته للحصول

على الدبوس ..   وسمع ديل درينون يقول مجيبا على قول ونيكل :

— نعم . ان آرليس شخص غريب الاطوار . انه لا يدخر وسعا فى استعادة الدبوس ، حتى لقد وعدنى بدفع الف جنيه زيادة على أتعابنا المحدودة على سبيل المكافأة ان استطعنا الحصول عليه . ومع ذلك فانا أجهل لماذا يبحث عن شىء تافه لا قيمة له بمثل هذه اللهفة . فقد آثر الصمت المطبق من هذه الناحية ، ورفض أن يحدثنى بشىء .

فقال ونيكل بهدوء ، وخبث : ولماذا تقلق ؟! لقد كانت أعمالنا راكدة فى الفترة الاخيرة . وعما قريب نظفر بمبلغ كبير فى مقابل مجهود ضئيل .. لكن خبرنى يا درينون . لماذا عهد الينا آرليس بالبحث عن الدبوس المفقود مع أنه يعلم سوء سمعة مؤسستنا ؟!

فضحك درينون ضحكة غريبة : لقد عهد الينا بهذه المهمة يا بنى لأنه يرغب فى الاستعانة بكل الوسائل ، حتى غير المشروعة ، لاستعادة دبوسه .

ثم إنه يعلم أننا فى حالة مالية سيئة ، وأننا سنضطر الى اطاعة الاوامر بدون القاء أسئلة . فلازم ونيكل الصمت بضع لحظات . واستطاع لوبين أن يرى على وجهه سمات الدهاء ، والخبث

قال ونيكل بعد هنيهة : نعم . لكن يخيل الى ان آرليس قد ارتكب ، أو يحاول أن يرتكب ، امراً غير مشروع . وهذا الامر محوط بالالغاز والغموض . ومثل هذا الشخص يمكن أن يرغم على البذل بسخاء فى مقابل وعد منا بكتمان السر ! فأطال درينون النظر الى وجه زميله .. وهتف : هل تعنى ..؟ فقال ونيكل بهدوء : ان آرليس رجل ثرى. بل مليونير . وصحيح ان الف جنيه مبلغ لا يستهان به ، ولكن خمسين الفا يعد ثروة . ما رأيك فى أن نعرض عليه تسليم الدبوس فى مقابل خمسين الفا من الجنيهات ؟ ! ففغر درينون فاه دهشة . وحدق فى وجه ونيكل مشدوها . ولكنه ما لبث ان ابتسم بخبث .

وقال : هذا الالهام مدهش ولاريب يا ونيكل . سأحاول ان ارغم السير آرليس على قبول شروطنا . فاذا قبل ، رفعنا المبلغ خمسين الفا أخرى . فاذا رفض أن يدفع الا طبقا لاتفاقنا الاول فقد ربحنا الف جنيه على كل حال ، وان قبل كان بها . ان شيئا لا يحيرنى مثلما تحيرنى ابنته فيرا . فقد تستطيع هذه اللعينة ان تفسد علينا تدبيرنا .

فبدا على وجه ونيكل كأن نفس الخاطر جال بذهنه . وأخذ يدور فى ارجاء الغرفة ، مطرق الرأس .. ولكنه ما لبث ان وقف فجأة امام شريكه .. وقال بصوت عميق :

— دعها لى . . فلن يعجزنى حملها على التخلى عن مضايقتنا

وانتفض ديل فى مخبئه . . وأدرك معنى كلمات ونيكل المستترة . . ومن ثم عول على التدخل فورا . . وكان قد عثر على لفافة من الرباط المتين وهو يتحسس طريقه خلف دولاب الملفات فى الظلام . . فالتقطها . . ثم ولج غرفة المكتب بهدوء . . وقال وهو يسدد مسدسه إلى الرجلين :

— ليس من العقل ايها السيدان أن يحصى المرء صغار الدجاج قبل أن يفقس البيض . . أرجو أن تتكرما برفع أيديكما فى الهواء . !

— ٨ —

وثب المتآمران واقفين على أقدامهما ، وحدقا فى وجه ديل ! كما لو كانا يريان شبحا بغيضا . . وفرلون ونيكل . . أما درينون ، فحاول أن يخرج مسدسه من جيبه ، وعندئذ اطلق ديل النار على يده ، فأصابه المقذوف فى أصبعه ، فصرخ من الألم ، ورفع يديه فوق رأسه . . فاضطر ونيكل أن يحذو حذوه وقذف لوبين بلفة الرباط عند قدمى ونيكل . .

وقال بلهجة صارمة : خذ هذه اللفافة . . وشد وثاق زميلك . . ولكن حذار من التهاون والا فالويل لك . . سأمنحك دقيقتين لاتمام هذه المهمة .

فتردد الشاب . . ولكنه ما كاد يرى علامات العزم والتصميم المرتسمة على وجه ديل ، حتى هز كتفيه فى استسلام ، والتقط الرباط . . وشرع يوثق قدمى شريكه . ثم معصميه . . فى حين خلع ديل ساعته اليدوية ، ووضعها فوق المكتب . . وكان يراقب ونيكل عن كثب ، وينظر إلى ساعته بين الفينة والفينة وحاول درينون أن يقاوم فى البداية . . ولكنه أدرك عقم المحاولة ، فاستسلم صاغرا .

وفرغ ونيكل من مهمته فى نهاية المهلة المضروبة . . وعندئذ أمره ديل بأن يتمدد فوق الأرض ثم شد وثاقه بيده . . وتحول إلى درينون وتأكد من متانة رباط قدميه . . ومع أن الرباط كان رفيعا الا أن اية حركة من الرجلين . . كانت تكفى لأن ينغرس الحبل فى لحمهما

ثم نهض واقفا . . والتقط ساعته من فوق المكتب . . ثم قال وهو يتهيأ للانصراف : يمكنكما أن تستأنفا حديثكما الذى انقطع بظهورى . . ولكن يؤسفنى كثيرا أن أقول لكما إن نقود السير مالكولم التى كنتما تحلمان بها قد طارت من ايديكما . .

ثم وضع المسدس فى جيبه . . وهرع إلى الخارج . . وما كاد يبلغ الشارع حتى دقت ساعة بعيدة النصف بعد الثانية صباحا .

وانطلق لوبين يبحث عن سيارة تاكسى . . واستطاع بعد لأى أن يعثر على واحدة . . فأمر السائق بالذهاب به إلى أقرب ميدان من بارك لين

ثم صرف السيارة . . ومضى إلى المنزل رقم ٦٩ سيرا على قدميه .

وكان الجو شديد الرطوبة . . والسحب متكاثفة سوداء تنذر بهطول مطر غزير . . فجد لوبين فى السير حتى بلغ المنزل المنشود . . وكان منزلا صغيرا وسط قصور باذخة . . مكونا من ثلاث طبقات انشئت على الطراز الحديث . والنوافذ مرفوعة إلى اعلا. فتذكر لوبين قول ونيكل من ان المنزل خال من السكان منذ قتلت تريز فينابل . فوقف برهة يقلب البصر حوله . . ثم صعد الدرج الأمامى الموصل الى الباب العام . . ولكنه ما لبث أن تأكد انه مغلق ، كما تبين ان فتحه سيستغرق وقتا طويلا ، فضلا عن انه قد يتعذر فتحه نظراً لسماك القفل . فعدل عن دخول المنزل من بابه . وهبط الدرج . ودار حوله . وبعد قليل من البحث عثر على قضيب صغير من الحديد علاه الصدأ . فحمله معه إلى النافذة المجاورة للباب الرئيسى ، وأدخله بين شقيها . ثم ضغط عليه بقوته ، فانفتحت النافذة .

ووثب إلى الداخل . ثم أغلق النافذة خلفه ، ولكنه لم يوصدها خشية الطوارىء . فقد كانت تلك أول مرة يتسلل فيهـا الى منزل غيره وهو بشخصية مارتن ديل . وكان الهواء راكدا بالردهة . يبعث الانقباض إلى النفس . . فانطلق يتحسس طريقه فى الظلام حتى استطاع أن يصل الى الدرج الموصل الى الجزء العلوى من المنزل .

وفجأة . . جمد فى مكانه . . خيل اليه انه ليس وحده فى الظلام . . سمع صوتا شديد الخفوت . . صوت تنفس رجل على مقربة . فارهف أذنيه . . وراح يحدق فى الظلام محاولا أن يخترق حجبه ، ويتبين مصدر الصوت . . ولكنه لم يستطع . . فقد كان السكون مستتبا . ومع ذلك كان يشعر بان شخصا يقف على كثب منه ، وهو يحدق فى وجهه .

حبس أنفاسه . . وراح يتساءل عن محدث ذلك الصوت الخافت . عن ذلك الشخص الذى يحدق فى وجهه بتلك النظرات النفاذة التى يشعر بوطأتها ولا يراها . . انه ليس فيرا بغير شك . فان ونيكل قد سجن الفتاة فى احدى الغرف . أو اتخذ من ضروب الحيطة مايجعلها عاجزة عن الحركة والتجول فى المنزل والا لاستطاعت أن تهرب بوساطة احدى النوافذ

وفجأة .. أجفل . . إذ سمع شخصا يحدثه همسا . . فكان للصوت الخافت . وللظلام الدامس المحيط به أثرهما فى أعصابه . . ولم يستطع أن يميز الكلمات بادىء الأمر .. وأصاخ السمع فى انتظار أن يعيد المتكلم همسه . وبعد طويل انتظار .. أمكنه أن يسمع هاتين الكلمتين : من هناك ؟

لم يجبه لوبين فى الحال .. فقد أدرك ان الصوت صوت رجل واستطاع أن يقدر المسافة بينه وبين محدثه بستة أقدام . . وقبل أن يجد من الوقت متسعا للتفكير فيما ينبغى أن يفعله . . استطرد الصوت :

— ماذا تفعل هنا ؟ ! وخيل اليه ان لهجة الرجل يشوبها الذعر .. فلم يجب .. إذ لم يكن يتفق مع خطته أن يكشف عن شخصيته فى تلك اللحظة . ومرت اللحظات ثقالا .. وراح لوبين يحدق فى اتجاه الصوت .. وانتظر عبثا أن يعاود المجهول حديثه . . وخيل اليه بعد لحظات كأن الرجل قد تبخر ، واختفى من الوجود .. وتقدم إلى الامام بضع خطوات وهو يتحسس طريقه فى الظلام .. باسطا ذراعيه أمامه . لعله يقبض على هذا الشخص . ولكنه لم يجد له أثراً .. فقد اختفى بهدوء كما ظهر .

ولم يشأ ديل أن يبادر بالعمل .. فقد خطر له انه من سوء التقدير أن يشعل ضوء ، وفى الدار رجل غريب مجهول منه . خصوصا وان فيرا سجينة فى إحدى الغرف . وقد يفزعها أن تسمع عراكا ، أو نقاشا حاداً فى المنزل . أو ان يدخل الغريب الغرفة التى سجنها فيها وينكل وينكل بها .

وبعد انتظار دام عدة دقائق . . راح يتحسس الجدار بيده لعله يعثر على مفتاح النور .. ولكن يده اصطدمت بمقبض باب .. فتهيأ لفتحه .. ولكنه ما لبث ان سمع صرخة مروعة صادرة من أحد أجزاء المنزل . . وتكررت الصرخة ثلاث مرات .. وأعقبتها انة عميقة .. ثم ساد الصمت

وانتفض ديل .. وجمد الدم فى عروقه .. فقد كان للصرخة وقع اليم فى نفسه أكثر من كل مامر به من أهوال منذ بداية المغامرة

وهتف من بين أسنانه المصطكة : ياللسماء ! أرجو ألا تكون هى

وتمالك جأشه . . وضغط مفتاح النور .. فغمر الضوء الغرفة

نظر حوله . . فرأى الغرفة عارية عن كل أثاث .. فاندفع إلى الردهة ..

وارتقى الدرج وثبا ، فقد كان موقنا ان الصرخة صدرت من أعلا

وكان الظلام دامساً .. ولم يستطع ان يتمهل ريثما يبحث عن مفتاح النور .. وركض متعثرا فى الدهليز .. وكان يقف بين الفينة والفينة . . ويصيخ السمع .. وخيل اليه انه يسمع أنينا خافتا صادراً من نهاية الدهليز . فسار تجاهها . . حتى بلغ بابا على اليسار .. فدفعه بهدوء . . وفى التو انقلب الأنين إلى صراخ مروع فهتف برفق ، محاولا ان يجعل صوته يبدو هادئا : لاتخافى ياآنسة آرليس ! أنا ديل .. مارتن ديل ! !

فزفرت الفتاة زفرة حرى . . وهتفت : أواه !

وبحث عن مفتاح النور حتى عثر عليه . . فضغطه .. وما لبث ان رأى فيرا منكمشة فى أحد أركان الغرفة . . وكانت عيناها تفصحان عن أبلغ معانى الفزع .. بينما تهدلت خصلات من شعرها الأسود الناعم فوق وجهها المصفر .. فهرع ديل اليها .. وخلصها من القيد الذى يشد قدمها وساقيها

وأسندت الفتاة رأسها إلى الجدار باعياء . . ونظرت اليه نظرة ضراعة مشوبة بالرعب .. وما لبث الذعر ان أخذ يتلاشى من نظرتها .. وقالت وهى تنتفض : أكنت أنت الذى لمستنى يامستر ديل ؟

— كلا .. لم يمض على وجودى فى المنزل أكثر من دقائق معدودات . وقد سمعت صراخك فأسرعت إلى نجدتك .. فماذا حدث ؟

فانتفضت الفتاة مرة أخرى . . وارتسمت على شفتيها ظل ابتسامة . . ثم أجابت : انه الظلام الذى أفزعنى أكثر من أى شىء آخر .. فتح الباب فجأة ودخل إلى الغرفة رجل لم أستطع أن أميز ملامحه . . وتقدم منى فى هدوء تام .. حتى لقد شعرت بوجوده ، أكثر من سماعى حركاته .. فلما لمس وجهى بيده ، صرخت .. كانت يده باردة كالثلج ، كايدى الاشباح سواء بسواء . . فلما سمعنى أصرخ صراخا متعاقبا ، بادر بالفرار .. ولعله خشى مغبة عمله . . يؤسفنى كثيراً ان أزعجتك يامستر ديل

فقال مطمئنا : كلا . . كلا . . لقد كان موقفك دقيقا ، ولم يكن هناك سبيل للتصرف غير مافعلت . ولا شك انك كنت مضطرة الى الاستنجاد ، فان الأهوال التى تعرضت لها تكفى لأن تؤثر فى أعصاب أشجع القلوب . .

ولست أكتمك انني اضطربت وفزعت عندما سمعت صراخك . . لكن اخبريني ، هل حدثك ذلك الرجل الغامض بشيء ؟

— كلا . . انه فقط وقف فى اقصى الغرفة . وحملق فى وجهى طويلا . أعنى اننى ظننت انه كان يحدق فى وجهى . . وشعرت بذلك شعورا قويا . ثم لمسنى بيده . ولكنى لم أستطع ان أرى شيئا بالطبع لشدة الظلام . لكن كيف جئت الى هنا يامستر ديل ؟

فلم يجد ديل مفراً من مصارحتها ببعض ماوقف عليه . وذلك ليطمئنها . فقال لها ان خادمه أنبأه بامر المحادثة التليفونية ،واستطاع أن يعرف مصدرها بسؤال عاملة التليفون . ثم أعاد على مسامعها الحديث الذى دار بين درينون ونيكل . فغمغمت بضجر : ان ونيكل شيطان مريد ، ولكنه مع ذلك مغفل كبير . فقد استطعت ان اهزأ به على مرأى منه وبعثت بالرسالة الى احدى صديقاتى فى ومبلدون . واسمها . . .

فصاح ديل يقاطعها وهو يتلفت حوله : صه ! ! فان للجدران آذاناً . ومن الخير ألا ننطق هنا باسماء . . هل تستطيعين أن تثقى بصديقتك هذه ؟

— كل الثقة . ولكنها ستفاجأ مفاجأة شديدة عندما تجد الدبوس بداخل الغلاف ولا رسالة معه تبين اسم مرسله .

— هذا صحيح . أرى ان نتصل بها تليفونيا بعد انصرافنا من هنا . انك اذن قد استطعت ان تضللى ونيكل كل التضليل . لكن لماذا اخترت عنوان هذا المنزل بالذات عندما طالبك باطلاعه على العنوان الذى بعثت اليه بالدبوس ؟ فقالت الفتاة مفكرة : لا أعلم . كنت فى حالة شديدة من الذعر حتى لقد تعذر على التفكير . ولما كنت افهم انه لامفر من الأجابة . فقد خطر لى ان اذكر له عنوانا حقيقيا . . ولكنى بعد ذلك تذكرت ان العنوان هو عنوان منزل تريز فينابل التى قتلت منذ عدة شهور .

— أظن ان أباك صاحب هذا المنزل ؟

— نعم . ولو انى لا اعرف الشيء الكثير عن املاك ابى . . ولكنى اعرف انه ابتاع هذا المنزل منذ بضعة اعوام . أما لماذا استقر عنوانه فى ذهنى فلأن جريمة قتل وقعت فيه .

فقال ديل وهو يساعدها فى الوقوف على قدميها :

— اظن انك أحسن حالا الآن يا آنسة آرليس . ان قراءة الصحف تضجرنى كثيراً . ولذا فاننى قلما أطالع رؤوس الموضوعات . وفوق ذلك ، فالجرائم من الأشياء البغيضة الى النفس . وأنا رجل يتجنب كل شيء يعكر صفو هدوئه . ولذا فان اسم تريز فينابل لايعنى شيئا بالنسبة الى اكثر من أنه اسم عادى . هل تسمحين لى بمرافقتك الى منزلك ؟

فابتسمت الفتاة . . وقالت : اسمح لك ؟ ! عجبا لك يامستر ديل . . الاترى اننى مدينة لك بالنجاة من هذا المنزل الجهنمى ! لقد برهنت ياسيدى على انك رجل يمكن الاعتماد عليه وقت الشدائد !

— شكرا لك ! اتقولين ذلك وانت ترتابين . .

— ان كلمة (الريبة) لاتكفى . . فانى اعلم يقينا انك ارسين لوبين لقد تكهنت بهذا فى حفلة مسز ترافيز . . ولكن الشك مالبث أن انقلب يقينا عندما تقابلنا معاً فى ساحة برايانت منذ بضع ساعات . . كان ينبغى ان اخشى بأسك ! ولكنى مع ذلك اشعر بالاطمئنان التام من ناحيتك . فضلا عن انك اديت لى خدمة جليلة لايمكن ان انساها . .

فانحنى لها . . وقال : إذا كنت تشعرين بقدرة على السير ، فهلمى بنا

فابتسمت له . . وقالت: انك كـكل رجل مهذب تـكره الشكر . ولـكن لايسعنى ان أغمطك ماابديت من مروءة وشهامة . بيد انى لااشعر بالرغبة فى العودة إلى المنزل فى التو . . فانى شديدة اللهفة على معرفة ذلك الشخص الغامض الذى كان يتجول فى انحاء الدار منذ قليل . . الاترى ان نبحث عنه فى الغرف ؟ ولم يكن ديل اقل لهفة منها فى اكتشاف هذا السر الغامض . . فقال باهتمام : بـكل سرور

وما كادا يخرجان إلى الدهليز ، حتى خيل اليه أنه يشعر بشبح يتحرك فى الظلام . . وفتحا عدة ابواب واضاءا انوار الغرف ، ولـكنهما لم يجدا فيها مخلوقا بشريا . . وعندما ولجا باب اقصى غرفة عند نهاية الدهليز من الناحية الأخرى . . ضغطت الفتاة ذراع ديل برفق . . وقالت :

— لقد قتلت تريز فينابل فى هذه الغرفة

فالقى ديل نظرة شاملة على الغرفة . وكانت كبقية غرف المنزل ، عارية عن الاثاث . . وقال : حدثيني بأمر هذه المرأة التعسة يا آنسة

وكانت الفتاة قد استردت هدوءها فى تلك الاثناء . . وبدا عليها الجد والرزانة ، كأنما أثر مرآى مسرح الجريمة فى نفسها تأثيرا شديداً . فعبست وبدا عليها الوجوم . وانشأت تقول :

— كانت الآنسة فينابل فتاة تعسة . . ولكنها كانت بارعة الجمال . . ومع انها لم تكن صغيرة السن الاان جمالها لم يفارقها إلى يوم مماتها . . ومنذ سنوات بعيدة احبت فنانا قديراً . ولكن حبهما انتهى بمأساة مروعة

وهنا تألقت عينا ديل وقاطعها متسائلا : اهو الرجل الذى نحت الدبوس الأخضر ؟ — نعم . . ولكن يبدو انه بقدر ما كان عبقريا فى فنه ، كان وغدا لاضمير له . . اذ سرعان ما تنكر لها . . وكان حب الفتاة لهذا الخائن جارفا متلهبا كشعلة متأججة . فاصمى كبدها هجرانه لها . . وظلت تتعذب طيلة حياتها . . وتبكى ذلك الحب الضائع . ومع انها كانت رقيقة الطباع . الاان هذه الصدمة هدمت حياتها فمات شعورها ولازمها العبوس . . واقسمت ان تقف حياتها على الثأر لنفسها فانقلبت تحطم القلوب وتهدم الهناء العائلى .ولكنها دفعت حياتها ثمنا لانها

كانت تخشى الموت .. وقد قضت السنوات الأخيرة فى حالة من الفزع وعدم الاستقرار .. فقد ظلت أشباح ضحاياها تطاردها أينما حلت .. وتسيطر على عقلها فكرة واحدة كانت تقض مضجعها .. وهى انها ستذهب فريسة أحد عشاقها الذين حطمت قلوبهم . . وحياتهم

وقد تحققت مخاوفها ذات ليلة منذ حوالى ثلاثة شهور . .

فسألها لوبين : وكيف وقعت الجريمة ؟ — ليس ثم من يعرف على وجه التدقيق . . كانت قد عادت حديثا من سياحة فى خارج البلاد حيث قضت الشتاء والربيع . . وأقامت مأدبة عشاء فى الليلة التالية لليلة وصولها .. ولا أبالغ ان قلت لك انها كانت من أروع وأجمل المآدب التى شاهدتها لندن منذ شهور . . فقد حدثتنى إحدى صديقاتى ممن حضرنها ، ان الآنسة تريز ، لم تبخل بمال . وأنفقت على هذه المأدبة بسخاء

ولكن المدعوين لاحظوا انها كانت تبـدو حزينة منقبضة النفس ، وكأنما زادتها الرحلة هما على هم . . وفى صباح اليوم التـالى عثرت عليها وصيفتها مقتولة فى هذا الركن وأشارت فيرا الى أحد أركان الغرفة . . واستطردت : كانت مصابة بطعنة فى قلبها . . جثة هامدة . . وبوسعك ان ترى آثار دمائها فوق الأرض . . فتقدم ديل من الركن الذى أشارت اليه الفتاة . . وظل بضع لحظات يتأمل آثار بقع الدم التى كانت تلوث الأرض . . وما لبث ان ركع أمام البقع ، وتأملها بانعام . . ثم هز رأسه وغمغم

— هذا أمر عجيب . . وجرى بأصابعه فوق البقع

وعندئذ سألته الفتـاة باهتمام : ماذا ترى ؟

فعرض أصابعه للضوء . . وأجاب : لقد حاول أحد الأشخاص إزالة بقع الدماء حديثا . . فما زال سطح الأرض مبتلا . . من تظنين . . . ؟

وحدق فى وجه الفتاة . . فقالت : لعله ذلك الرجل الغامض الذى كان يرتاد المنزل منذ بضع دقائق . . فقال ديل وهو ينهض واقفا :

— لاريب فى ذلك . . وتقدم من البـاب ، وتطلع فى الدهليز المعتم . . ثم مالبث ان عاد الى بقع الدم . . وقال :

— لكن ما الذى كان يرجوه من إزالة البقع وقد انقضى على وقوع الجريمة زمن طويل ؟ الحق انى لا أستطيع تعليل ذلك . . ربما كانت الجريمة قد أثرت على أعصابه . . إذ كثيرا مايدفع ضمير المجرم صاحبه على اتيان كثير من الأعمال الغريبة . . على فكرة . . هل عثر البوليس على أية أدلة ترشـده الى القاتل ؟ — كلا . . أو لعله عثر على شيء ، ولكنه لم يذعه على الجمهور . . فقد سمعت ان البوليس كثيرا مايحتفظ ببعض الأدلة التى يعثر عليها طى الكتمان كيلا ينبه المجرم الى وجودها فى حوزته . . وقد قيل لى ان شيئا من ذلك حدث فى هذه القضية

فانتفض ديل . وهتف : آه ! أهو الدبوس الأخضر ؟

فقالت الفتاة بصوت هامس : أجل . لقد اعتادت الآنسـة فينابل ان تتحلى به بصفة مستديمـة ، اما كدبوس او كسوار . فانه من ذلك النوع الذى يمكن أن يرتدى بهاتين الصفتين

فقال ديل باسما : لقد اكتشفت هذه الحقيقة عندما كان الدبوس فى حوزتى
— وعندما عثرت الوصيفة على جثة سيدتها فى صباح اليوم التالى لم يعثر البوليس على هذا الدبوس ولكنه لم يشر اليه . كما لم يعرف بامر فقده غير أشخاص يعدون على الأصابع . ولما كان مأثوراً عن الآنسة تريز انها تحمل الدبوس ليلا ونهاراً ، فقد أيقن محققو القضية ان القاتل لا شك قد استولى عليه عقب ارتكاب الجريمة . واحتفظ به . ومنذ ذلك الحين وهم ينقبون الأرض بحثا عنه ، على اعتبار انه مفتاح القضية .

فقطب ديل حاجبيه . وقال : هذا ماسمعت . فقد جعلنى صديقى المفتش سمرز اعتقد انه سيقبض على الشخص الذى يكون الدبوس فى حوزته . ولكن طالما ان ملكية الدبوس قد انتقلت الى عدة أشخاص منذ وقوع الجريمة . فلست أرى كيف تكون الملكية والحال هذه دليلا على الاجرام

فقالت الفتاة بلهجة صادقة : انى اتفق معك فى هذا الرأى . . وهناك عدة أشياء مازلت أجهلها عن هذا الدبوس . وكل ماعرفت عنه كان بمحض الصدفة . فجرى ديل بيده فوق جبهته . ونظر الى الفتاة بارتياب . ولكنه كتم السؤال الذى كان يدور برأسه . فقالت فيرا بصوت أجش : انى استطيع ان احدس مايدور بخلدك . لقد أنقذتنى من محنة ، فليس هناك اذن مايحملنى على عدم الثقة بك . لذلك أقول لو أن الدبوس وقع فى أيدى قوم معينين ، فانه سيدين شخصا عزيزا جداً على !

فغمغم ديل بهدوء : ان هذا الشخص يستحق التهنئة ولا ريب . وانى على استعداد لأن أراهن على براءته من الجريمة مثلى تماما . فان عينين مثل عينيك لا تخدعان بسهولة يا آنسة آرليس . فابتسمت له ابتسامة عذبة . . ولكن ديل لم يفطن اليها . فقد خيل اليه كأنما يسمع صوتاً خافتا صادراً من عند باب الدار الخارجى .

وعاد بعد هنيهة يسألها : وما اسم هذا الرجل السعيد ؟

— ويستكوت ترين .

فسجل ديل الاسم فى ذاكرته . ثم حول اهتمامه نحو الاصغاء إلى صوت الباب ، وهو يفتح ثم يغلق . وفى التو ، تقدم من الجدار . وأطفأ النور . .

فسبحت الغرفة فى الظلام . وقبل أن تتمكن الفتاة من سؤاله عن معنى ذلك كان قد تأبط ذراعها . وخرج بها الى الدهليز

فسألته الفتاة هامسة : ماذا حدث ؟

فهمس بدوره : لاتخافى . أكبر الظن ان شخصا دخل الى المنزل منذ لحظات . سنخرج الآن من بابه الخلفى . فكفاك ما قاسيت من أهوال هذه الليلة . وراحا يهبطان الدرج فوق أطراف أصابعهما.

وكان ديل متحفزاً للهجوم فى أية لحظة . وسمعا أصواتاً خافتة صادرة من الطابق الأسفل . ووقع أقدام تتحرك بحذر . فصح عزم لوبين على ألا يعرض الفتاة لأى خطر . . وقرر ان يخرجها من النافذة التى دخل منها . . . فان تعذر ذلك فمن باب المطبخ .

وكانا قد بلغا أسفل الدرج فى تلك الآونة . فراح ديل يتحرك تبعاً للغريزة. وهو يجذب الفتاة خلفه ولكنه ما لبث أن توقف فى سيره . فقد حذرته حواسه المرهفة من خطر داهم يتهددها . ولم تنقض لحظات حتى وقع هذا الخطر . . غمر الضوء المكان بغتة ، ورأى ديل أمامه مسدسين مسددين نحوه والفتاة . .

— ٦ —

القى ديل بصره على وجهى الرجلين اللذين يحملان المسدسين . ثم تقدم فى حركة سريعة ، ووقف أمام الفتاة .

كان الرجلان درينون ونيكل . فدله ذلك على أنهما استطاعا التخلص من قيودهما بوسيلة ما ، وسارعا بالقدوم الى المنزل ليثأرا منه

وكانت نظرة واحدة الى وجهى الرجلين المكفهرين كافية لان تؤكد له ان المعركة بينه وبينهما ستكون حامية الوطيس لا رحمة فيها ولا هوادة

قال درينون بسخرية : اظن أنك لم تكن تتوقع رؤيتنا بمثل هذه السرعة؟ اراهن على انك تأسف الآن لأنك لم تقيدنا بقيود حديدية !

وضحك ضحكة شيطانية . واستطرد : انى اعرف كل شيء عنك . ان احد اسميك مارتن ديل . واما الاسم الثانى فارسين لوبين . هل افزعتك ؟

وعلى الرغم من ثقة ديل من ان الرجل كان يخمن الا انه اجفل قليلا .

ولكنه تمالك جأشه بسرعة . ونظر الى درينون نظرة احتقار شديدة ثم قال : ان لك خيالا خصباً يا مستر درينون . اذا كنت واثقا مما تقول فلماذا لا تسلمني الى البوليس ؟ ان القبض على ارسين لوبين حلم يتمناه كل امرىء في المملكة . . ولا ريب انه عمل عظيم كفيل بان يرفعك الى السماكين . ويدر عليك مالا اكثر مما كنت تأمل ان تبتزه من السير مالكولم آرليس كان يرمي الى اكتساب الوقت .. وتلفت حواليه خلسة ، فرأى بابا على اليسار ، وعندئذ همس في اذن الفتاة . وهما يقتربان من الباب ببطء غير ملحوظ . .

ومع أنه كان لا يزال يحتفظ بمسدسه ومسدس المفتش سمرز ، الا انه كان عاجزاً عن استعمال احدهما في هذه اللحظة العصيبة .

وتبادل درينون ونيكل حديثاً هامساً . وادرك ديل من هيئتهما انهما كانا يتشاوران في أي السبل يسلكان . فانتهز وفيرا الفرصة وراحا يتحركان ببطء صوب الباب . .

وهمس : اركضي بكل قوتك الى الغرفة عند ما آمرك . وأما انا فسأصفي حسابي مع هذين الوغدين . فاذا خرجت من المنزل ، فعليك باقرب تليفون ، واتصلي بالمفتش سمرز ، واطلبي اليه ان يأتي الى هنا فوراً . قولي له ان مارتن ديل يريد مقابلته ليتحدث اليه عن درينون ونيكل .

فأومأت الفتاة برأسها دلالة على الفهم . . وظلا يتحركان صوب الباب حتى لم يبق بينهما غير أقدام قلائل . . وكان لوبين يحافظ على ابقاء الفتاة خلفه طول الوقت وفرغ درينون ونيكل من حديثهما أخيرا . . وبدا كأنهما اتفقا على رأى . . اذ ما لبث أن تقدم درينون الى الأمام وهو يصعد ديل ببصره ، ويحدجه بنظرة وعيد صارمة

وكان درينون يقبض على مسدسه كما لو كان يعتزم لطمه به ، لا إطلاق النار عليه . . فأدرك لوبين أن الرجلين اعتزما التخلص منه أولا . وبذلك تصبح الفتاة تحت رحمتهما وتحفز للعمل . . ولكنه كان محتفظا بهدوئه التام . . ونظر الى درينون بغير اكتراث . . ثم نظر إلى الباب من ركن عينه فلما أدرك انهما اصبحا على مقربة منه . . حول

راسه قليلا . . وهمس : اذهبي فتحولت الفتاة . وركضت إلى الغرفة . وفى اللحظة عينها لطم درينـون ديل بمسدسه فوق رأسه . . فترنح ديل إلى الوراء وكاد يسقط . . ولـكنه بذل جهـدا جبـارا حتى استطاع ان يحتفظ بتوازنه . . وسبحت المرئيات أمام عينيه ولـكنه رأى منظرا جعله ينتفض جزعاً

كان ونيـكل يراقب فيرا عن كثب . . فلما تحولت لتهرب . . انقض عليها . . وامسكها من معصمها بعنف . ثم طرحها أرضا بقسوة ووحشية

ورفع درينـون يده ليكرر لطم لوبين . . ولـكن هذا كان قد أدرك فداحة الخطر الذى تعرضت له الفتاة . . فدبت الحياة فى جسده فجأة . . ومد يده يتقى بها اللطمة . . ثم هوى بقبضته الأخرى فوق فك درينون . . فصرخ صرخة تدل على فرط الغضب . . وتراجع إلى الوراء وهو ينظر إلى غريمه نظرة بغض هائلة . . ثم أطلق النار . فأصاب المقذوف كتف ديل .

وأحس هذا بألم لا يطاق فى كتفـه . . وتبلبلت حواسه . . واستطاع قبل أن يسقط فوق الأرض . أن يرى ونيكل وهو ينقض على فيرا . ويقبض على عنقها . . فشعر بقـوة جبارة تحفزه على الانقضاض على الرجل وسحق جمجمته . ولـكنه راى درينـون يسدد مسدسه اليه . . وأدرك انه لو اتى بأية حركة . فسيطلق النار عليـه لامحالة . . ولما لم يكن يريد أن يترك الفتاة ولا حول لها ولا قوة بين براثن هذين الوحشين فقد آثر التريث والانتظار

صاح درينون بونيكل : تخلص منها مؤقتا حتى نضع حداً لهـذا الافاق اللعين . . لا تتحرك ياديل . . فان أقل حركة معناها الموت المحقق . .

وهنا ثارت ثائرته . . فانقض عليه غير عابىء بوعيـده . واطلق درينون النار . ولـكنه اخطأ مهاجمه . وارتطم المقذوف بالجدار

وللمرة الثانية . . جذب درينون زناد المسدس . . وللمرة الثانية ايضا طاشت الرصاصة . . وفى اللحظة ذاتهـا . القى لوبين بنفسه فوقه فأسـقطه على الأرض . . وسقط فوقه . . ونشب بينهما عراك حاد . . وعلى الرغم من الألم الممض الذى كان يشعر به فى كتفـه الا انه لم يابه له لعلمه بأن المعركة معركة حياة أو موت .

ومن خلال سحب الدخان البيضاء التى كانت تملأ الغرفة ، استطاع ان يلمح وجه الفتاة المصفر .. وحاول درينون أن يقف على قدميه ولـكن لوبين عاجله بلـكمة قذفت به إلى الأرض ، وهو مشتت الحواس .

وفى نفس اللحظة .. أخرج لوبين مسدسه من جيبه . وأمسـكه من ماسورته .. ثم لطم به ونيـكل فوق رأسه لطمة حسمت الموقف .

وتنفس الصعداء .. كان يشعر بضعف شديد لـكثرة مانزف من دمه ، وكان الألم لايطاق .. ولـكنه تحامل على نفسه ، ومد للفتـاة يده ، وعاونها على النهوض . وعندئذ سمع صوتا خافتا صادراً من ناحية الباب أعقبه صوت آخر صادراً من الجدار المقابل للباب .. فاستدار على عقبيه على عجل .. وما لبث أن نظر الى الجدار مشدوها لايصدق عينيه .

رأى الجدار ينشق فجأة .. ويبرز من جوفه رجل طويل القامة ، ممتلىء الجسم ، تبدو على وجهه المصفر علامات الاعياء والنصب .. وعيناه محتقنتان وشفتاه ترتعدان . كان يبدو كجبار زعزعت كيانه أزمة نفسية !

وكان هذا الرجل السير مالـكولم آرليس .. وما كاد يرى منظر الغرفة ، حتى انتفض .. وتألقت عيناه ببريق حاد .

وما كادت فيرا ترى أباها .. حتى أفلتت شفتاها صيحة دهشة .. ونظر اليها السير مالـكولم نظرة صارمة .. ثم تقدم من ونيـكل ، والتقط مسدسه .. وصوبه إلى لوبين .. وقال بهدوء :

— كان من الحماقة أن تتدخل فى هذه المأساة ياديل .. انك تضـطرنى إلى ... ولـكنه لم يتم عبارته .. وتحولت أنظار الجميع نحو الباب الذى فتح فى تلك اللحظة ، ودخل منه المفتش سمرز .

وند السير آرليس آهة تدل على فرط يأسه .. وأدار المفتش بصره فى أرجاء الغرفة .. ثم عبس عندما وقع بصره على مارتن ديل .. وقال :

— انك شـاب مدهش ياديل .. انى أجدك حيث لا أتوقع مطلقا أن أراك .. لم يكن يخطر ببالى انك هنا . وبهذه المناسبة ، أظن انك لاتعلم ان حادث سرقة وقع فى منزلك الليلة ؟ وتألقت عينا المفتش ببريق ذى مغزى . ثم استطرد : سوف أحدثك بكل شىء فيما بعد .. وأما الآن

فيسرني ان أجد هذين الشخصين هنا ، فقد طال بحثي عنهما .

وأشار إلى درينون ونيكل .. وكان وجه أولهما محتقنا من الغضب الجائح المكبوت .. وأما ونيكل فكان لا يزال فاقد الوعي .

وحملق آرليس في وجه سمرز .. وزاد وجهه اصفراراً .. ولاحظ ديل التحول العظيم الذي طرأ على المليونير . وبدأت الريبة تساوره في أمره

وفجأة .. هتف : أظن ان السير مالكولم يرزح تحت عبء ثقيل من تقريع الضمير .. لقد كان يحاول جاهدا ان يمحو بقع دم معينة في احدى غرف الطابق العلوي .. يمكنك ان تسأله أيها المفتش لماذا قتل تريز فينابل !!

فشهق سمرز .. وحدق في وجه ديل غير مصدق .. ثم التفت إلى السير آرليس ، ورمقه بنظرة شزراء .. فارتسمت على وجه الرجل علامات الذعر القاتل .. وتراجع إلى الوراء مترنحا .. وأخذ يقبض على الهواء بيديه .. وما لبث ان أن أنة مؤلمة ، وتهالك فوق الأرض فاقد الوعي

— ١٠ —

وعند ظهر اليوم التالي التقى مارتن ديل بالمفتش سمرز حول مائدة الطعام بناء على موعد سابق .. وراحا يتناولان طعامهما صامتين .. وأخيرا افتتح المفتش الحديث بقوله : هذه دنيا العجائب ياديل .. فسبلها غير مستقيمة ، وأحوالها غير مستقرة .. لقد بدأت ليلتي أمس بالبحث عن أرسين لوبين ، ولكنى في نهايتها عثرت على قاتل تريز فينابل .. الحق انى مدين لك بهذه النهاية المدهشة   فقال ديل بتواضع : كلا .. كلا .. لقد كنت أقذف سهما طائشا عندما وجهت الاتهام للسير آرليس .. ولم تكن دهشتي أقل من دهشتك عند مارأيت الأثر الذي أحدثه هذا السهم .. كم أنا متلهف على سماع اعتراف الرجل !!

وكانا قد فرغا من تناول طعامهما .. فأشعل سمرز لفافة تبغ فاخرة قدمها له صديقه .. ثم قال : توجد أبدا في حياة الرجال ذوى القلوب الصخرية لحظات ضعف .. والسير مالكولم آرليس مثل حي لهؤلاء الرجال انه رجل غليظ القلب .. جامد العاطفة .. ولكنه سقط صريع حب تريز فينابل   وكان ذلك بالطبع قبل ان يتزوج .. ولذا فلم تقترن سمعته بأية

فضيحة .. ولم يكن وقتئذ يعلم ان تريز امرأة وقفت حياتها على تحطيم قلوب الرجال .. وجرى فى حبها شوطا بعيداً .. وكتب لها رسائل عدة معربا عن غرامه المتأجج .. وتورط فيها إلى حد بعيد

إلى ان كان يوم أفاق فيه من طيشه .. ولكن بعد فوات الفرصة .. فلم ترفض الافعى الزواج منه فحسب .. بل أخبرته كذلك ان رسائل غرامه لاريب ستنال من المجتمع كل اهتمامه اذا مانشرت فى الصحف

صفوة القول .. بدأت تريز تبتز مال آرليس بانتظام .. واستمر الحال كذلك عدة أعوام بعد زواج المليونير .. ولما كانت المرأة اخصائية فى مثل هذه الأعمال .. فقد استطاعت ان تجرده من الشطر الاكبر من ثروته .. فوهبها المنزل الذى كانت تقيم فيه .. ولو انه بقى محتفظا بملكيته رسميا

وبعد فترة من الزمن اكتشف آرليس ان تريز ليست محتالة عادية .. ولكنها كانت تدخر للرجال جميعا حقداً متأصلا .. ينمو على مر الزمان .. فأدرك انها تسعى لخرابه والقضاء عليه .. وخطر له ان الموقف قد يتطور لمصلحته ان هو استطاع الحصول على رسائله الغرامية التى بعث بها اليها إبان شبابه ..

ولما كان المنزل قد شيد تحت اشرافه ، فانه كان يعلم موقع الخزانة بالضبط .. وخطر له ان المرأة قد تكون محتفظة بالرسائل فى هذه الخزانة .. ومن ثم عول على الاستعانة بمفتاح المنزل الذى فى حوزته والذى لم يستعمله قط منذ ان شغلت المرأة الدار .. ولكنه انتظر مترقبا أول فرصة ملائمة ليتسلل الى المنزل ، ويفتح الخزانة بأية وسيلة ، ويستولى على رسائله

وقد حانت له الفرصة فى اليوم التالى لعودة تريز من سياحتها الطويلة خارج المملكة .. إذ أقامت الفتاة مأدبة عشاء فاخرة .. ودعت اليها آرليس .. ولعلها كانت تقصد النكاية به .. ولكن آرليس استطاع أن يكمن فى المنزل بعد انصراف المدعوين .. ولم يكن ذلك بالعمل العسير .. فان أحدا غيره لم يكن يعرف بالفجوة الكبيرة التى تتصل بغرفة الجلوس فى الطابق الأرضى بوساطة لوح متحرك من الخشب يفصل بين الغرفتين

كان آرليس قد انشأ هذه الفجوة السرية خصيصا يوم شيد المنزل ،

لاعتقاده انها قد تصلح لاخفاء جواهره اذا دعت الضرورة . . وقد أخبرنى انه كان قد رأى مثل هذه الفجوة السرية فى منزل أحد أصدقائه ، فأحدث فجوته على غرارها عندما شيد منزله .. وقد ظل آرليس ملازما هذه الفجوة حتى سيطر السكون على المنزل . . فتسلل من مخبئه . . ومضى الى مخدع الفتاة . . وكان الحظ حليفه ، إذ كانت تريز تضع جواهرها فى الخزانة فى تلك الآونة وتمهل سمرز هنيهة ريثما يلتقط أنفاسه .. ثم استطرد : أكبر الظن ان آرليس لم يرتكب الجريمة مع سبق الاصرار .. بيد ان مرأى الخزانة المفتوحة أفقده وعيه .. ونشب بينه وبين المرأة عراك عنيف . . وقبل أن يدرك آرليس ماهو فاعل ، كانت تريز فينابل ميتة عند قدميه .. أو هذا ماخطر بباله . . ورأى فى يده مدية ملوثة بالدماء ، كان قد اختطفها من فوق منضدة زينة المرأة . . ولكنه كان حاضر الذهن .. فلم ينس ان يستولى على رسائله قبل أن ينصرف خلسة

فسأله ديل : وما شأن الدبوس الأخضر فى الجريمة ؟

— هنا يأتى دور هذا الدبوس . . وهو دور عجيب كما سترى . . يبدو ان آرليس لم يكن الضحية الوحيدة التى كانت المرأة تبتز مالها . . فقد كان أخو ويستكوت ترين ، وهو شاب مهذب ، ولكنه أحمق . ضحية أخرى للمرأة . . وقد زارنى ويستكوت اليوم وحدثنى بقصة أخيه بحذافيرها . كان أخوه قد تورط فى حبها حتى أذنيه . . فأخذ ويستكوت على عاتقه مساعدته ، وانتشاله . . واستخلاص الرسائل الغرامية التى كان قد كتبها الى المرأة . .

وقد انتهز ويستكوت فرصة مأدبة العشاء مثل ارليس وعاد إلى المنزل بعد انصراف المدعوين . واستطاع أن يدخل من خلال إحدى النوافذ الخلفية بعد ساعة من انصراف آرليس .

قلت لك إن آرليس كان يعتقد ان تريز قد لفظت أنفاسها الأخيرة . . ولكنه كان مخطئاً فى ظنه . ذلك أن المرأة كانت تنزف دماءها ببطء . ولا ريب انها استعادت حواسها فى الفترة التى انقضت بين انصرافه ومجىء ويستكوت . ووجدها الشاب تئن . وتتلوى من

شدة الألم . وما كاد يميل فوقها ويلمس وجهها حتى أحس بشيء يوضع حول معصمه . فصاح ديل : الدبوس الأخضر

فاومأ سمرز برأسه . وقال : كانت المرأة قد استردت وعيها فى تلك اللحظة وكانت أفكارها مشوشة بالطبع . فلم تكد ترى ويستكوت مائلا فوقها حتى تبادر إلى ذهنها انه قاتلها ، ولما كان علماء النفس يقولون إن المرء يكون سريع التفكير والبت فى الأمور عند الوفاة . فأكبر الظن ان المرأة أرادت ان تثق قبل موتها بان قاتلها سيلاقى جزاءه حتما . ومن ثم انتزعت الدبوس من صدرها . وضغطت النتوءين السريين ، ثم أحاطت به معصم ويستكوت . ولا ريب أنها كانت تعلم انه لن يستطيع خلعه بسهولة لجهله بموضع النتوءين الدقيقين . أو كانت ترجو أن يقبض على الشاب قبل أن يستطيع التخلص من السوار .

وتمهل سمرز ريثما يرشف قليلا من قدح القهوة . ثم استطرد

وقد صعق ويستكوت من هول المفاجأة . رأى نفسه فى منزل غريب اقتحمه ، وعند قدميه امرأة تسلم الروح . ولم يفق من ذهوله إلا عندما سمع المرأة تقول بصوت شديد الخفوت انها تعلم أنه قاتلها . وتأمل أن يشنق جزاء له على جريمته . وقد أخبرنى ويستكوت انه ضحك ضحكة مروعة عندما اتهمته المرأة بقتلها . ويمكنك أن تتصور حالة الذعر البالغ الذى استولى عليه وقتئذ . فركض كالمجانين . دون أن يتوقف ليفكر فى موقفه الدقيق . وحاول أن يتخلص من السوار . ولكن جهوده ذهبت أدراج الرياح . وكان كلما تذكر وعيد المرأة زاد ذعره . وأيقن انه طالما كان السوار مثبتاً حول معصمه . فسينتهى به الأمر الى المشنقة كما انذرته

وكان منزل السير مالكولم آرليس على مقربة . ورأى ويستكوت ضوء ينبعث من إحدى نوافذه . ومن ثم دق جرس الباب . ففتح له السير آرليس بنفسه . ولا ريب ان آرليس كان يتوقع مجيء البوليس . فلما وقع بصره على ويستكوت انقشع عنه الخوف . .

وكان ويستكوت يعتقد أن السير آرليس صديقه . فحدثه بالقصة كلها . وتوسل اليه أن يساعده فى التخلص من الحلية

وبينما كان آرليس يصغى الى قصة الشاب، طافت برأسه فكرة شيطانية واستطاع أن يقنع الشاب بان يكتب اعترافا مفصلا بانه اقتحم منزل تريز فينابل ليستولى على رسائل معينة . ولم يغب عن آرليس أن يحدد فى وثيقة الاعتراف وقت دخول الشاب الى المنزل بالدقة . ولما كان ويستكوت فى حالة سيئة من الاضطراب . فقد وقع الوثيقة دون وعى . ولكن آرليس استوقفه . واستدعى كبير خدمه ليكون شاهداً على التوقيع . ولكنه لم يسمح بالطبع لكبير الخدم بمطالعة الوثيقة .

وبعد انصراف الخادم من الغرفة . احضر السير آرليس مبردا ، واستطاع أن ينتزع الحلية من معصم الشاب .

وكان ويستكوت يعتقد فى تلك اللحظة أن السير آرليس أولاه معروفا لايقدر وضحك سمرز ضحكة جافة . وأردف

— وبذلك استطاع آرليس أن يبقى الشاب تحت رحمته . فاذا تعرضت سلامته للخطر فى أية لحظة دفع بويستكوت الى البوليس . وكشف له عن زيارة الشاب السرية لمنزل القتيلة ليلة الجريمة . . وقدم له الدبوس الأخضر ووثيقة الاعتراف كأدلة مادية لاتقبل النقض على صحة روايته .

ولم يكن أحد الدليلين كافيا لاثبات التهمة على الشاب وارساله إلى المشنقة فلو ضاع أحدهما بطريق الصدفة لعد الآخر باطلا . ومن ثم عول آرليس على الاحتفاظ بالدليلين معا . فانتزع القضيبين الذهبيين من مكانهما . . ووسع التجويف الذى يختفيان فيه عند ما تستعمل الحلية كدبوس . ثم طوى وثيقة الاعتراف بعناية . وأدخلها فى التجويف . ثم أعاد تركيب القضيبين الذهبيين فى مكانهما . واودع الدبوس جوف خزانته

فسأل دبل : ألم تكن فيرا ويستكوت تعلم بامر هذا الاعتراف ؟

— كلا . . كل ما كانت تعلمه . أنه اذا استعان أى شخص بالدبوس فى استطاعته أن يرسل ويستكوت الى المشنقة . انها فتاة متوقدة الذكاء

يادبل . وويستكوت شاب مجدود حسن الطالع . نعود الى قصتنا . استطاع آرليس أن يرغم ويستكوت تحت تهديده بافشاء سره . على انجاز عمل دنيء كان يسعى اليه فى باريس . وتظاهر ويستكوت بانه يطيع الأوامر . ولكنه كان لايفتأ طول الوقت يدبر خطة يتخلص بها من مخالب آرليس . . ومنذ عدة أيام ذهب الشاب لزيارته . وأنبأه انه فرغ من المهمة التى عهد اليه بها فاضطرب آرليس . وأسقط فى يده . اذ بدأ ضميره يقرعه فى تلك الاثناء . . وهذا هو سبب تردده على المنزل الذى وقعت فيه الجريمة فى الايام الاخيرة ومحاولته ازالة بقع الدم من أرض الغرفة التى قتلت فيها تريز

وغاص سمرز فى مقعده . وأطال النظر الى وجه ديل . ثم قال :

— هناك مسألة واحدة تحيرنى . ولكن يغلب على ظنى أن حلها بيدك

فنفث ديل الدخان من فمه . . وتابع سحبه ببصره . . ثم سأل :

— وما هى تلك المسألة ؟

فارتسمت على شفتى المفتش ابتسامة باهتة . . وأجاب :

— اعترف لك انى كنت مرتابا قليلا فى أمرك . . فبعد ان التقينا فى الطريق أمس ، عندما كنت تحاول التخلص من ذلك الرجل الذى يضايقك منظره . . بدأت أفكر فى أمرك جديا . . وكنت أعتقد اعتقاداً جازما انك تعرف شيئا عن الدبوس الأخضر . . فذهبت إلى منزلك فى المساء ، ولكن خادمك أنبأنى انك لم تعد بعد ، فجلست فى انتظارك . . ولكن سرعان ما سمعت وقع اقدام متلصصة تسير فى الردهة فخرجت أستطلع جلية الأمر وعثرت على أرسين لوبين فى غرفة مكتبك . . ولكن تصادف لسوء الحظ ان استطاع اللعين أن ينتزع مسدسى منى ، ويبادر بالفرار

فغمغم ديل ، وهو لايبدى شيئا من الاهتمام : ياللحظ العاثر !

— ليس هذا ما يحيرنى . . ولكن بعد عدة ساعات ، عندما ذهبت الى منزل بارك لين ، رأيتك تسدد مسدسا إلى درينون . . وأنا على استعداد لأن أقسم ان هذا المسدس كان مسدسى الذى انتزعه منى أرسين لوبين عند فراره

فتألقت عينا ديل ببريق خاطف . . وصاح : ياللسماء !

لا أظنك تعنى .

فقاطعه سمرز ، وهو يلوح بيده فى الهواء :

— أوه ! كلا .. انى فقط أتساءل وأتعجب . هل لك فى لفافة تبغ ؟

فمد ديل يده . وتناول لفافة أشعلها .. واستطرد المفتش :

— لقد كانت مأساة محبوكة الأطراف . . ومن حقك أن تغازل البطلة

فهز ديل رأسه سلبا .. وقال : ان مثل هـذا الحظ ليس من نصيبي . لـكن دعنى أريك الرسالة التى تلقيتها منذ ساعتين .. انها شىء أرسـلته إلى الآنسة آرليس على سبيل التذكار .

واخرج ديل طرداً صغيراً من جيبه وأزاح الغطاء عنه ثم ابتسم وأخرج من داخل الطرد الدبوس الأخضر

القسم الثانى

صانعة المعجزات

للمرة العشرين شعر ديل بان عينين ترقبانه من وراء القناع الأسود ولم يكن ذلك بالشىء الذى يضجره أو يغضبه .. وانما هو أنه كان يجهل شخصية صـاحبة هاتين العينين . . ثم انه كان يأمل ألا يكون موضع رقابة ما فى تلك الليـلة بالذات ، لا لشىء ، الا لأن أحداً لايعرف بوجود مارتن ديل فى تلك الحفلة التنـكرية .

وراح بدوره يتتبع صاحبـة هاتين العينين النفاذتين وهى تروح وتغدو مع رفيقها فى ارجاء البهو الـكبير متراقصين كأبدع ما رأت عيناه من منظر خلاب . ورشاقة تستحق الاعجاب

وتصادف ان تلاقت نظراتهما . . فغض مارتن ديل من بصره . وقد أغضبه ان يكون موضع تأمل امرأة تأملا لعله أقرب إلى السـخرية منه الى

التقدير   وراح يتساءل : ترى من هى ؟ هل يمكن ان يعرفها لو سقط القناع عن وجهها ؟ ان لباسها التنكرى يشبه كثيراً اللباس الذى اشتهرت الملكة مارى تيودور بارتدائه . . ولكنه ليس بالدليل الذى يرشده إلى شخصيتها الحقيقية

ومع ذلك فقد كان واثقاً من انها فى ربيع العمر . . نخفة حركاتها ، ورشاقتها المدهشة أسطع دليل على صغر سنها

وفيما عدا ذلك لم يستطع ان يعرف شيئا عن تلك الفتاة التى ظلت تراقبه عن كثب منذ بدأت حفلة الرقص التنكرية

وفيما هو يراقبها ، وهى تكتسح الردهة مع رفيقها الذى كان متنكراً فى ثياب دون جوان، طاف برأسه سؤال جعله ينتفض : هل عرفت الفتاة انه مارتن ديل ؟ ان الثوب الذى كان يتنكر فيه ثوب مضحاك من مضحكى البلاط فى عهد مارى تيودور . . ومع انه لم يكتف بالتنكر فى هذا الثوب ، وإنما أبدل ملامحه من تحته كذلك ، فقد كان يخالجه شك فى أن هذه الفتاة تعرفه ، وإلا فما معنى هذه النظرات الغريبة

لم يكن ثمه من يعرف انه موجود بين المدعوين ، فقد بعث إلى مسز بيتى الداعية برسالة اعتذار من عدم حضور حفلة الرقص التنكرية لأنه كان يكره الداعية كرها شديداً لا لشىء إلا لأنها مشغوفة بحب الاعلان عن نفسها . . وكان ديل قد صرف جل وقته فى التفكير فى مجموعة جواهرها لأنه سمع أنها من نوع نادر . . وعلم من مصدر خاص ان ربة الدار ستتنكر فى هيئة ساڤو . . ولما كان المأثور عن ساڤو انها لم ترتد حليا ، فقد أدرك ان ربة الدار لن تتزين بجواهرها خلال الحفلة ، وانها بغير شك ستتركها فى خزانتها العتيقة فى غرفة بالطابق العلوى

ومع ان ديل اعتذر من عدم حضور الحفلة ، فانه لم يجد مايمنعه من حضورها بوصفه أرسين لوبين . . وبذلك يستطيع ان يظفر بالمجموعة دون ان يخالف بذلك أبسط قواعد الضيافة واللياقة

***

وتطلع ديل إلى ساعته اليدوية .. فاذا بالوقت قد تجاوز منتصف الليل

ببضع دقائق . . فأدرك انه لن تمضى وقت طويل حتى يتوقف المدعوون عن الرقص ، وتقدم لهم المرطبات . . فعبر القاعة ، وهو يتلفت يمنة ويسرة ، باحثا عن ذات الرداء الأحمر ولكنه لم يستطع ان يجد لها أثراً بينهم . فظن ان رفيقها قد ذهب بها إلى الحديقة ليغازلها فوق الثلج

وكان قد غادر قاعة الرقص ، وارتقى السلم ركضا ، ولكن فى هدوء . . ومضى فى دهليز ضعيف الضوء حتى وصل إلى الغرفة التى يعرف ان فيها خزانة ربة الدار . . فتوقف أمامها . . وهو يتلفت حوله . . وبعد هنيهة أدار مقبض الباب ، ودخل ، ثم أغلق الباب خلفه

— ٢ —

نظر ديل الى الخزانة ساخرا . . ثم شرع فى العمل فوراً . . ولم يستغرق فتح الخزانة أكثر من دقائق معدودات . . ثم نقل كنزها الثمين الى جيب المعطف الذى يرتديه تحت لباس التنكر .

وغمغم : ان آل بيتى بحاجة الى مثل هذا الدرس، ثم انهم من ذوى اليسار ولا ضير عليهم أن يدفعوا عشرة فى المائة من ثمن هذه الجواهر للمحتاجين !

وقهقه ضاحكا . . ثم حول بصره الى باب الغرفة ، وكان قد أغلقه بالمزلاج على سبيل الحيطة . . ثم هز رأسه . . وابتسم .

كانت مهمته قد انتهت دون عناء أو مجازفات ولم يبق إلا ان يضع بطاقته المشهورة فى الخزانة .

وفى هدوء وثقة تناول البطاقة ، ووضعها فوقها وهم بالانصراف

وفى تلك اللحظة طرق باب الغرفة ، فجمد فى مكانه مشدوها ، وأسرع باطفاء مصباحه الكهربائى ، ووضعه فى جيبه ، ثم نظر الى النافذة . وكان قد فتحها لتكون سبيل الفرار عند الحاجة

وبدا عليه التردد ، وتساءل : أيهرع الى النافذة أم يرى من الطارق ؟ !

وانه لفى حيرته هذه ، اذا به يسمع صوتا نسائيا رقيقا :

— أرجوك ان تفتح الباب يامستر ديل

وصعق ديل ، وأدرك ان أمره قد افتضح ، ولكنه اطمأن قليلا

عندما أدرك ان القادم ليس المفتش سمرز الذى اعتاد أن يلازمه أكثر من ظله وحينئذ تقدم من باب الغرفة . . وفتحه قليلا . . وعندئذ سألته صاحبة الصوت : هل تسمح لى بالدخول يامستر ديل ؟

ففتح الباب على الفور ، ووقف يحملق فى ذات الرداء الأحمر ، فرآها تبتسم فى وجهه ابتسامة عذبة، تنم عن العطف والتقدير

وأدار لوبين بصره فى الدهليز ، ولما تأكد من خلوه قال :

بالطبع ياسمو الأميرة ، ان هذا شرف عظيم

ثم انحنى لها حتى كاد رأسه يمس ركبتيه

ودخلت القادمة الغرفة ، وأغلق لوبين الباب خلفها ، ثم تحسس الجدار بحثا عن مفتاح النور ، وهو يتساءل عما سينتهى اليه هذا الموقف الغريب .

وما كاد الضوء يغمر الغرفة ، حتى واجه كلاهما صاحبه ، وخيل لديل انه يرى فى عينى الفتاة بريق تهكم خفيف ، فقال لها بصراحة :

يالك من أميرة رائعة الجمال ! !

فضحكت الفتاة ضحكة هادئة عميقة : وأنت مضحك بلاط تعشق ، ترى من عساك تمثل ؟ فرانسوا فيلون ؟

فهز رأسه سلبا . . وأجاب : ان فرانسوا فيلون لم يخطر لى ببال . . انى فقط انموذج ، ولست الشخص الحقيقى . . لقدكان فيلون آثما بقدر ما كان مرهف الوجدان . . شاعراً فيما اعتقد

فأسرعت تسأله : ألست شاعرا ؟

لا أحسبك ترمينني بالاثم أيتها الأميرة ؟

فضحكت . . ولم تجب اجابة مباشرة . . اذ قالت :

— هل تذكر قول فيلون المأثور : اين ثلوج العام الماضى

فأومأ لوبين برأسه . . واستطردت الفتاة :

— هذا ما جئت الآن لأتحدث عنه . . جئت لأحدثك عن ثلوج العام الماضى . . لكن دعنى أولا أقدم لك نفسى . . اننى ادعى كورا ستودارد

فانحنى لها للمرة الثانية . . برغم أن أسمها لم يعنه شيئا . . وقال متسائلا :

يخيل إلى انك تعرفين اسمى يا آنسة ؟

— بالتأكيد . . لقد تكهنت بشخصيتك بمجرد أن وقع بصرى عليك . صحيح ، أن تنكرك شديد إلى حد الاتقان ، ولكن من المستحيل أن يخفى الانسان شخصيته ! ومع انى لم أرك الا الليلة ! فقد كانت صورتك ماثلة فى ذهنى ، وما أن رأيتك حتى عرفتك فى التو .

وضحكت ضحكة تنم عن المرح .واستطردت : ولكنى لم اكن واثقة من أنك مارتن ديل الى ساعة خلت . اذ بينما كنت اكتسح القاعة مع مراقصى ، تصادف حين مررنا بك ان سقطت علبة لفائفك . واستطعت أن أرى الحرفين الأولين من اسمك محفورين على غطائها . وعندئذ تبدل شكى وارتقى الى مرتبة اليقين .

فقال لوبين وهو يتذكر الحادث : انك شديدة الملاحظة يا سيدتى !

كانت علبة لفائفه قد سقطت منه عفواً ، ولكنه التقطها فى لمح البصر ، ولم يخطر بباله ان أحداً استطاع ان يرى الحرفين الاولين من اسمه المحفورين فوق العلبة . ومع ذلك فانه لم ينزعج لأنها عرفت أنه مارتن ديل . طالما لا تعرف أيضاً أنه ارسين لوبين . .

وتطلع خلسة الى الخزانة وكان قلقا يخشى ان يفتضح امره فى اية لحظة.

وقالت الفتاة بعد هنيهة : لا ريب ان مسز بينى ستندهش أشد الدهشة لو أنها عرفت أنك شرفت حفلتها بحضورك يا مستر ديل . لقد اسفت جداً عندما تلقت اعتذارك من قبول دعوتها . هل تود أن أبلغها نبأ قدومك ؟

نطقت الفتاة بتلك العبارة بلهجة ذات مغزى ، ونظرت الى لوبين من خلال فتحتى القناع نظرة تنطوى على السخرية .

وتذكر هذا الجواهر التى سرقها . وموقفه الحرج . فهتف :

أرجوك الا تفعلى ، فان مسز بينى كثيرة الكلام . . وأنا لا أحب الجلبة ! وخصوصا اذا وقعت فى ظرف غير ملائم ؟! أليس كذلك ؟ فانتفض . كان للسؤال معنى لا يمكن اغفاله . فتساءل : اتراها ارتابت فى أمره ؟ ! وعرفت بانه جاء الى هذه الغرفة خصيصاً ليسرق الجواهر .

قال بعد قليل من التأمل : الاترين اننا شططنا عن الموضوع الأصلى

قلت انك تريدين ان تحدثيني عن ثلوج العام الماضي

وللمرة الثانية تطلع خلسة إلى الخزانة . . وصح عزمه على أن يحول مجرى الحديث بعيدا عن شخصيته وعن الخزانة مهما كلفه ذلك من جهود

قالت الفتاة بصوت رزين : آه . ! نعم ! ان الحديث عن الثلوج محبب إلى نفسي . . ولكنني اعلم ان طبيعة الرجال لاتجعلهم يتحدثون كما يجب الا اذا كانوا مطمئنين . افلا ترى أنه من الخير ان ترضي ضميرك اولا يامستر ديل ثم تقدمت في حركة سريعة واستدارت على عقبيها . . فكاد قلب لوبين يكف عن الحركة . . اذ اتجهت الفتاة نحو الخزانة ووقفت امامها. فوثب اليها ليعترض طريقها . ولكنه وصل متأخراً ذلك انها كانت قد التقطت البطاقة من فوق الخزانة .. وراحت تتأملها هنيهة ثم أومأت برأسها وغمغمت : هذا ماظننت . . فان ارسين لوبين اعتاد ان يترك مثل هذه البطاقة في الاماكن التي يتخذها مسرحاً لمغامراته نكاية في رجال البوليس . . وفوق ذلك ، انني ارتبت منذ وقت طويل في ان مارتن ديل هو ارسين لوبين

فقال لوبين محاولا الخروج من المأزق : يخيل إلى انك الليلة كثيرة الارتياب . يا آنسة ستودارد

— ذلك لأن شكوكي تنهض على أسس قوية من معلومات خاصة استطعت أن اصل اليها منذ حين . .

فملق في وجهها مبهوتا . . وهتف : من انت ؟

— قلت لك انني كورا ستودارد . . ومع ذلك فانني اعترف ان الاسماء ليست من الاهمية بمكان في العصر الحاضر . . ان اسمك الآن مارتن ديل ولكنه منذ عشرة اعوام او اثنى عشر عاما كان يختلف عن ذلك اختلافا بينا . اليس كذلك ؟ وللمرة الثانية اخذ ديل على غرة . . ذلك ان الفتاة نطقت بعبارتها في لهجة الواثق المطمئن الى مايقول . . وكان لها وقع الصاعقة على رأسه . . وخيل اليه أن الستار قد ازيح فجأة عن الماضي فانكشفت امام عينيه امور كان يعتقد انها اصبحت من الذكريات البعيدة

قال بلهجة آمرة : ارفعي قناعك يا آنسة

فهزت رأسها سلبا . . واجابت برفق ، ولـكن بتصميم :

— لو فعلت لماعرفتني . . إن وجهي لايعني شيئا بالنسبة اليك . فانت لم ترني قبل اليوم . . من انا ، ومن اين اتيت ؟ ! ثلاث أمور لاقيمة لها البتة . انني اعرف الشيء الـكثير عنك اما من اين حصلت على هذه المعلومات فليس ذلك من شأنك فزاد عجب لوبين . . وخيل اليه ان عيني الفتاة تخترقان بنظراتهما الحادة النفاذة ، جمجمته . وتنبشان الماضي . البعيد . . وكان اضطرابه قد بلغ اشده . فاستأذنها في التدخين . . وضحكت واجابت :

— يمكنك أن تدخن كما يحلو لك ياعزيزي ولو أن التبغ لم يكن بعـد قد اكتشف في عصر فرانسوا فيلون

وأشعل ديل لفافة تبغ . وأصاخ السمع . كانت الموسيقى لا تزال تصدح في الردهة السفلى فاطمأن الى أن الرقص لم يتوقف بعـد ، وأمن المفاجأة والخطر قال بعد قليل من الصمت

— قلت انك تعرفين أشياء كثيرة عن شخصي المتواضع فهـل لك أن تضربي مثلا ؟

فصعدته بنظراتها . وهزت رأسها ثم قالت :

— اعلم انك ذهبت ضحية خطأ جسيم منذ أعوام بعيدة . وذهبت الى السجن لتكفر عن جريمة اقترفها غيرك . وكادت هذه الصـدمة تحطم حياتك ، ولـكنها لم تفعل ، فقط غيرت اتجاهك في الحياة . فعنـدما أطلق سراحك كان لايزال لديك بضعة آلاف من الجنيهات في أحد المصارف . فغامرت . وأقحمت نفسك في زمر اللصوص . واشتغلت بالسطو حتى أثريت . وكنت تتظاهر أمام الجمهور بانك رجـل مهذب . . ترتاد الأندية والمحافل حتى ذاع صيتك في فرنسا . وعرفك الجميع بدماثة الخلق وجمال الطبع . ولـكنك لم تبرأ من الجرح الغائر الذي تركته تلك الغلطة الشنيعة في أعماقك . ونزحت إلى نيويورك ثم الى لندن . وانتحلت شخصية جديدة ، هي شخصية مارتن ديل ، ذلك الثري الذي لاعمل له غير التسكع في الاندية والتماس أسباب التسلية والرياضة . ولـكنك كنت لاتزال تحتفظ بشخصـيتك

الاصلية . شخصية ارسين لوبين . وكان كل يوم ينقضي يزيد في تأجيج نار الحقد المتأصل في نفسك من نحو المجتمع ورجال القانون . وكنت تتحين الفرص لتثأر للغبن الذي وقع عليك والهوان الذي قاسيته . ولم تجد سبيلا الى ذلك غير العبث بالبوليس وجعله أضحوكة في أعين الجمهور الذي لم يكن يعرف ـ وان كان اسم ارسين لوبين ملء الأفواه والاسماع ـ انه هو نفسه مارتن ديل الثرى المعروف .

فقاطعها قائلا : فيما عدا المفتش سمرز . واشخاصا قلائل مثلك .

فقالت : لقد استطعت أن تخفي شخصيتك الحقيقية بمهارة تستحق الاعجاب . ومضيت قدما في طريق الثأر ، وكلما استطعت أن تذر الرماد في أعين البوليس كلما زاد الحقد تأصلا ونموا . ولم يكفك العبث بالبوليس الفرنسي . فسعيت الى أمريكا ثم الى انجلترا . وأوقعت البوليس في حيرة . وأثرت عليه الرأى العام . كل هذا وليس ثم من يعلم ان قلب مارتن ديل قد مات ودفن تحت ثلوج العام الماضي !

تلاشت الابتسامة الساخرة عن شفتي لوبين فجأة . وشع من عينيه بريق كالفولاذ . وبدا كأن جسمه قد تصلب . وسيطرت عليه قوة خفية . أخذت تضغط قلبه وتعصره عصرا . ولكن هذه الحالة لم تدم طويلا . اذ سرعان ما تغلب عليها . وقال بصوت خافت :

ان حديثك يشوقني يا آنسة . لأنه تأبين مؤثر لروح مارتن ديل . لكن ما قلته عن ارسين لوبين أمر شائع معروف للقاصي والداني .! فليس اذن فيما تعرفين جديد ، فيما عدا افتراضك انني وارسين لوبين شخص واحد

فتطلعت الى البطاقة التي في يدها ، كأنما تذكره بانها تملك الدليل المادي القاطع على صدق تعليلها

ثم قالت : ليس هذا كل ما أعلم ! ولكن حسبي أن أقول ان نجم ارسين لوبين قد آذن بالأفول وان هذه المغامرة آخر فصل من ذلك السجل المتضخم

فانفجر لوبين ضاحكا . وهتف : لعمري إن قولك يستحق الاهتمام ! هل تعلمين يا آنسة ستودارد انني قضيت الاسابيع الأخيرة في حالة سيئة من القلق وعدم الاستقرار ؟ كان ابداً يتمثل أمام عيني أن شيئا مما قررته الآن

سيحدث عاجلا . . ولكنى كنت اعتقد أن حديث النفس هذا ضرب من الأوهام وانى متعب الأعصاب وبحاجة إلى رحلة طويلة للتسرية عن النفس

فقالت بلهجة فيها رنة الوعيد : ولكنى جادة فيما أقول . . أعد الجواهر التى اغتصبتها من هذه الخزانة إلى مكانها . . وفى التو ! !

— انك خطيبة مؤثرة يا سيدتى ! ! ماذا يحدث ان رفضت ؟

فتقدمت من باب الغرفة . وفتحته قليلا . . ثم قالت :

— إذا لم تطع . . فسأستنجد بالمدعوين

فأشعل لفافة جديدة . . ولاحت على شفتيه ابتسامة خفيفة . . وبقيت الفتاة صامتة عدة لحظات . ثم اغلقت الباب . . وواجهته قائلة بصوت حاد :

اخبرنى . . الا تعرف معنى للخوف ؟

الخوف ؟ ! يا للعجب ! ! ان من كان على شاكلتى لا يهاب الموت فكيف اذن يعرف الخوف ! ! كنت واثقا من انك لن تستنجدى . واما من أين عرفت هذا . . فلالمامى بالطبيعة البشرية شأن كبير فى تقدير المواقف وتكييفها بما يطابق الحقيقة

فضربت الفتاة الأرض بقدمها الدقيقة . . ولكنها لم تيأس . . وعولت على ولوج سبيل جديد للاقناع

قالت مؤنبة : ان الرجل المهذب لا يسرق من يستضيفونه

— هذا صحيح . . ولكنى لم أحضر إلى هنا كأحد المدعوين . وعلى ذلك فان قواعد اللياقة لاتتعارض مع ما أقدمت عليه

لكن آل بيتى لم يتعرضوا لك بسوء . فلماذا توجه اليهم هذه اللطمة ؟

لعدة أسباب . . أولا : لأن ذلك يسرنى . ثانيا : لأن مسز بيتى ثرثارة لا تكف عن نهش اعراض العائلات . ثالثا : لأن زوجها محتال شرير كما هو لص دنىء . . فلو رأيته وهو يلعب الورق . ويسرق زملاءه . . أو لو عرفت كيف يسلق زوجات اصدقائه بألسنة حداد لما لمتنى على ما فعلت هل تحبين أن استمر فى سرد عيوب هذه العائلة ؟

فهزت رأسها سلبا . كأنما استولى عليها اليأس من اصلاحه . وغمغمت

— اواه ! لو انك فقط عرفت . . ! الا تستطيع أن ترى

فقال بصراحة : كلا . . انا لا أرى شيئا ! لا أرى أى أثر . ولوطفيف يعود عليك اذا لم يتبرع هذان الزوجان بعشرة فى المائة من ثمن الحلى التى جردتهما منها لاحدى الجمعيات مقابل استعادتها

وتمهل هنيهة . وهو يحدق فى عينى الفتاة . . ثم استطرد :

— أما اذا كان امرها يهمك بصفة شخصيته . . فهنا يختلف الموقف كل الاختلاف .

فقالت بلهجة التوكيد ، وكأنما شجعها على ذلك تبدل صوته :

نعم . ان امرها يهمنى كثيراً . ولكنى لا استطيع الايضاح الآن .

فاخذ يتاملها طويلا . ثم غمغم :

— لغز آخر من الألغاز النسائية . انى لا أفهمك ، ولكنى مع ذلك أميل الى تصديقك . . وعلى هذا سنعقد صفقة . ارفعى القناع عن وجهك

لحظة يسيرة ، أعد الجواهر الى الخزانة فى التو .

فسالته مشدوهة : هل تعنى حقاً ما تقول ؟ — نعم ..

فضحكت غير مصدقة أذنيها . وهتفت :

— انك محتال بارع يالوبين . حسنا جداً . انى أقبل هذا الشرط

وحسرت القناع عن وجهها ، وما كاد لوبين يرى جمالها الفتان حتى وقف مشدوها .. عينان واسعتان زرقاوان ضاحكتان . استأثرتا بكل اهتمامه ، فظل يحدق فيها حتى نسى كل شيء فى الوجود .

وقال وهو ينحنى لها : لقد ربحت الجولة يا آنسة . استطعت ان تقنعينى باتيان عمل لم يفلح القانون فى اقناعى باتيانه قط .

وتحرك صوب الخزانة . ولكنه سمع الفتاة تشهق شهقة قوية ، فاستدار على عقبيه فى حركة خاطفة . فرأى الباب يفتح بهدوء . وعندئذ جمد فى مكانه مصعوقا .

رأى المفتش سمرز واقفا على عتبة الباب . وفى يده مسدس اوتوماتيكى .

— ٣ —

ابتسم لوبين ابتسامة باهتة ، ونظر الى المفتش من وراء القناع نظرة تقدير وحذر . فقال سمرز محذراً :

— لا تتحرك ! والا اطلقت النار !

فصدع لوبين بالامر ، ولكنه نظر من ركن عينه الى باب الشرفة المفتوح . كان يعلم انها تطل على ساحة المنزل . . وانها سبيله الوحيد للنجاة لولا المسدس الذى يصوبه المفتش الى صدره

قال بذلك الصوت العميق المتهدج الذى لا يمت الى صوته الطبيعى بسبب

— ماذا تعنى يا سيدى ؟ الا تعتقد أنك ارتكبت خطأ جسيما ؟!

فقهقه المفتش ضاحكا . واجاب بهدوء :

— وهل يمكن أن أخطىء معك يا ديل ؟! لا تظن ان هذه الثياب المضحكة كفيلة بأن تخدعنى أو تضللنى !! خير لك الا تحاول الافلات منى هذه المرة ! والا فموتاً تموت . هذا هو قرارى الاخير

فقال ديل وهو يتلفت حوله فى الغرفة : يا لك من رجل مضحك

وفى تلك اللحظة فقط تنبه الى ان الفتاة قد اختفت من الغرفة فجأة فرفع حاجبيه دلالة على فرط دهشته . ولكنه أدرك ان اختفاءها ، والبطاقة معها ، كفيلان بأن يلقيا عن كاهله عبئا ثقيلا . .

وبدد المفتش الصمت الذى ساد بينها هنيهة بقوله :

— كنت أعتقد أنك آثرت الهدوء طويلا على غير العادة . . وحدثنى قلبى أنك لاشك تدبر مغامرة جديدة . . ومن ثم لازمت مكتبى على قدر الأمكان . . ومنذ عشر دقائق تقريبا اتصل بى شخص مجهول . . وأنبأنى ان ثم مهزلة تحدث فى منزل مستر بيتى . . وعندئذ أدركت أنك هنا . . فقد علمتنى التجارب أنك لا تمكن ان تفلت فرصة ثمينة كهذه

فقطب لوبين حاجبيه . . كانت أدلة إدانته متوفرة فى هذه المرة . . فلو حدثت المفتش نفسه بتفتيشه . . وهو ما سيفعله ولا ريب ان عاجلا أو آجلا فسيكتشف حتما جواهر الداعية فى جيب معطفه الداخلى وعندئذ تكون الطامة الكبرى . .

ولكن ذلك لم يقلقه . . بقدر ما اقلقه انه والفتاة كانا موضع رقابة وما من شك فى ان مراقبهما سمع شطراً من حديثهما . . وهرع يستنجد بالمفتش سمرز . . ولكنه عاد فتذكر ان الفتاة لم تنطق بشئ يدينها . . فقد كان حديثها منصبا برمته على محاولة اقناعه باعادة الجواهر إلى الخزانة . . وهو وإن كان يبدو غريبا على الشخص الذى كان يسترق السمع . . غير انه لاينطوى على ان للفتاة ضلعا فى السرقة

وشد قامته . . ونظر بسخرية إلى المسدس المشهور فى يد المفتش . . فتميز هذا غيظا . . ودس يده فى جيبه . . وأخرجها . . فاذا فيها قيد حديدى . .

وقال وهو يتقدم خطوة إلى الامام : أبسط ذراعيك امامك

فابتسم لوبين متهكما . . وعقد ساعديه فوق صدره . . وعندئذ صاح المفتش بحدة :

ماذا تنتظر ياديل

فأجاب لوبين بهدوء : إنى أفكر فى أن العينين الزرقاوين إذا اقترنتا

بالشعر الفاحم كان لها منظر يخلب الألباب

— صه أيها الأحمق ! ! لقد فشلت حيلتك . . أنا لا أجهل أن رأسك مكتظ بشتى الحيل .. ولكنك لن تجد إلى الفرار سبيلا فى هذه المرة مهما أوتيت من دهاء وسعة حيلة

ولوح بالقيد فى الهواء . . فقال لوبين بغير اكتراث :

— انها واحدة فى كل مليون . . ألم يخطر ببالك ياسمرز ان جمال الروح وجمال الوجه قلما يتوفران لانسان ؟

— جمال الروح ؟ ! ها . . ها . ! ! سوف تجد متسعا من وقتك للتفكير فى جمال الروح والوجه فى السجن . . هلم . . أبسط يديك . . أو لعلك تريدنى على ان اعاملك بخشونة وغلظة ؟ !

وغمغم لوبين : وقد ذكرت قول الشاعر عن ثلوج العام الماضى . . كأنما تنبأت لى بهذا المصير السيء ! !

فقال سمرز بحدة : دعنا نرى كيف سيكون منظر معصميك عندما يزينهما القيد . . كفاك هذيانا ياصديقى .. فى استطاعتى ان أرسل فى طلب المعونة .. ولكنى أقسمت أن أقبض عليك وحدى .. احتراما منى لصداقتنا الطويلة الوطيدة ! !

فأومأ لوبين برأسه ببطء .. وأدار بصره نحو المصباح الكهربائى المتدلى من سقف الغرفة

ثم قال : بالطبع إنك تضن على أحد من زملائك أن يشاطرك شرف القبض على شخصى المتواضع . . حسنا . . يغلب على ظنى أن النهاية قد دنت . . ولست آسفا على هذا ، فلكل شيء نهاية كما تعلم ياعزيزى

وهز كتفيه ، وبسط يديه للقيد فى استسلام . . وعبرت ملامح وجهه عن قنوطه ، وفقدان قوة المقاومة .. فتقدم سمرز منه ، وهم بوضع القيد فى يديه ، بعد ان ضمهما الى بعضهما .

وفى تلك اللحظة وقع حادث عجيب .. فما كاد القيد يلمس يد لوبين . . حتى دب النشاط فى كل جسده فجأة .. فانقض على القيد، وانتزعه من المفتش ثم قذفه فى الهواء ، فاصاب المصباح ، فتحطم وسبحت الغرفة فى الظلام .

وضحك لوبين ضحكة رنانة ساخرة .. ثم وثب نحو الشرفة ، وعندئذ سمع صوت طلق نارى .. ومرقت الرصاصة على مقربة من أذنه .. ولكنه كان قد تسلق حاجز الشرفة ، وتدلى منها . ثم ترك نفسه يسقط فوق الأرض وركض فى الساحة بكل قوته .

وفى تلك اللحظة دب النشاط فى أنحاء القصر .. وساد الهرج والمرج .. وارتفعت صيحات الاستنجاد .. فادرك أن سمرز أقام الدنيا وأقعدها وانه والمدعوين قد خفوا لمطاردته .. وخشى ان يقسموا أنفسهم فرقا لمحاصرة البقعة كلها ، ويسدوا عليه المسالك .. خاصة وان سيارات المدعوين كانت مكتظة فى الساحة مما يسهل لهم مطاردته .

وكان قد بلغ الشارع العام فى تلك اللحظة . وعندئذ سمع صفارة بوليس تمزق السكون فتوقف قليلا فى سيره ، وقد بدا عليه التردد .

وانه لكذلك يضرب أخماسا فى اسداس . اذا به يرى سيارة صغيرة مقبلة نحوه .. فلما بلغت البقعة التى كان يقف فيها .. هدأ السائق من سرعتها ثم وقفت .. ونظر اليه نظرة تساؤل .

ورأى لوبين يداً تشير اليه من نافذة السيارة لكى يصعد . فبهت ولكنه أدرك ان هذه فرصته الوحيدة للنجاة . فتقدم منها بخطى ثابتة . وعندئذ فتح بابها بغتة . وسمع صوتا يدعوه الى الصعود : تفضل بالصعود يامستر ديل !

وما كاد لوبين يأخذ مكانه فى السيارة حتى انطلقت به بأقصى سرعتها فايقن ان ظهور السيارة فى تلك اللحظة الحرجة لم يكن محض الصدفة ، وانما كان مدبراً من قبل .. ومع ذلك فانه لم يعرف داعيه إلى الركوب . أهو صديق أم عدو ؟ ! ولكنه كان مرغما على الركوب ولو للتخلص مؤقتا من مأزقه .

ونظر إلى الرجل الجالس بجانبه .. فألفاه طويل القامة .. يرتدى بزة الخدم . فسأله : إلى أين نحن ذاهبون ؟

فاجاب الرجل فى أدب :

— إلى مكان أمين .. أظن اننا أصبحنا بنجاة من الخطر ياسيدى ؟ !

وظلت السيارة تنهب الأرض نهبا ، وديل لايفتا ينظر من النافذة الخلفية دون ان يرى أثرا للمطاردين . وعندئذ أفرخ روعه ، وشرع يفكر فى موقفه . كان واثقا انه من العبث ان يستفسر من رفيقه عن سر انقاذه ، ومن ثم آثر الرضا فى تلك اللحظة بما حدث ، على ان يستفسر منه فى الوقت اللائم

ووقفت السيارة أمام منزل صغير مكون من طابقين ، وقاده منقذه على عجل الى غرفة نوم أنيقة فى الطابق الثانى دون أن يترك له فرصة تأمل محتويات الدار ، ولكن النظرة العابرة التى ألقاها على الأثاث دلته على ثراء أصحاب المنزل وبذخهم

وقال الخادم باحترام : أرجو ان تجد هنا سبل الراحة ياسيدى

فأجاب لوبين وهو يتأمل وجه الخادم : أرجو ذلك ، لكن يهمنى أولا ان أعرف فى ضيافة من أنا ؟

فقال الخادم مراوغا : ان صاحب المنزل خارج المدينة فى الوقت الحاضر ياسيدى ، ولن يعود قبل مضى بضعة أيام ، وتلك هى غرفة نومه ، وأحسن غرفة فى المنزل .

فتلفت لوبين حواليه فى اعجاب ، ثم سال :

— اذا كان سيدك خارج المدينة ، فمن الذى يصدر اليك الأوامر إذن ؟ من الذى أمرك بأن تأتى بى الى هنا ؟

— لست فى حل من الاجابة عن هذا السؤال ياسيدى ، ومع ذلك فانى أرى انه من الحكمة ان تقضى هنا يوما أو اثنين حتى تهدأ العاصفة ، إذ لاريب ان البوليس سيراقب منزلك

فقال لوبين باسما : أصبت ، لكن اخبرنى ، هل اسم سيدك ستودارد ؟

فأجاب الخادم بدهشة حقيقية : ستودارد ؟ ! كلا . . اننى لم اسمع بهذا الاسم من قبل . . طاب مساؤك ياسيدى

وانسحب الرجل من الغرفة على عجل . . وبقى لوبين وحيداً . . يضرب اخماساً فى اسداس دون أن يهتدى الى تعليل معقول لهذا الغموض المتكاثف

فرصة غياب ابيها عن المدينة فآوته فى منزلها حتى تهدأ العاصفة . ولكن اجابة الخادم دكت هذه النظرية من اساسها . ومع ذلك كان يشعر شعوراً قويا بأن لكورا اكبر نصيب فى نجاته من مخالب المفتش سمرز . .

واخيرا ، وبعد ان اعياه التفكير ، رأى أن ينتظر تطور الموقف ، لعله ينجلى عن شئ ينير له سبيله فى هذا الظلام

ونهض عن مقعده وخلع لباس التنكر . . ثم اغلق باب الغرفة بالمزلاج حتى اذا اطمأن الى هذا اخرج جواهر مسز بيتى من جيب معطفه الداخلى ، ووضعها فوق منضدة الزينة . . وراح يتأملها باعجاب شديد

كانت جميعها من انذر الجواهر وانفسها . . ومع ذلك فانه لم يكن يشعر فى تلك الليلة باللذة والانتعاش اللذين كان يشعر بهما كلما اتم احدى مغامراته واستعرض غنيمته منها

اتى بحركة تدل على الضجر ، ثم جمع الجواهر . ووضعها تحت حشية الفراش . ريثما يبت فى أمرها فى الوقت المناسب .

ونظر ديل الى الفراش فى اشتياق . ولكنه كان مشتت الفكر لايشعر بالرغبةفىالنوم. فتهالكفوق أحدالمقاعدوأشعل لفافة تبغ واستغرق فى التأمل

— ٤ —

أفاق لوبين من تأملاته فجأة ، على صوت مقبض الباب وهو يتحرك . . فنظر الى الفراش حيث خبأ الجواهر تحت الحشية . فلما اطمأن الى انهم لن يرتابوا فىوجودها هنالك! تقدممنالبابوأزاح المزلاج. وجذبالبابفانفتح

ورأى رجلا يرتدى ثوبا رمادى اللون . يهم بدخول الغرفة ، وهويتذمر كأنمـا ضايقه أن يبقى طويلا خارج باب الغرفة . ولكنه ما كاد يرىلوبين حتى توقف مجفلا . ثم تراجع الى الخلف . وهتف بلهجة آمرة :

— من أنت بحق الشيطان ؟ فقال ديل بهدوء :

— ان من حقى أيضا أن القى عليك مثل هذا السؤال .

فقال القادم وقد بدأت تساوره الريبة بعد المفاجأة : أحقا ! .

ودخل الى الغرفة . وأغلق الباب خلفه . ثم راح يصعد ديل ببصره . وقد أذهله مرآه . وأخيرا قال : ماذا تفعل فى غرفة نومى ؟

فدهش ديل بدوره . أدرك انه يواجه رب الدار ، ولم يخف عليه أن عودة الرجل فجأة كفيلة بتعقيد الموقف .

وغمغم فى اضطراب : اذن . . اذن فانت من أهل المنزل؟

— أهل المنزل ؟ . حسنا . أرجو أن أكون كذلك ! ! أهذه مزحة . أم أنت لص ؟ . — لا هذا ولا ذاك .

فحدق الرجل فى وجهه مبهوتاً ، كأنما أيقن انه يتحدث الى رجل مجنون ثم تقدم من منضدة الزينة ، وفتح أحد أدراجها ، وتناول منه مسدساً أوتوماتيكيا . وعندئذ سقط الضوء على وجهه . وما كاد لوبين يرى ملامحه حتى تقلصت عضلات وجهه . وعض على ناجذيه

وهتف : مهلا . لعلى أدين لك بالاعتذار

فقال رب الدار وهو يضع أصبعه فوق زناد المسدس :

— اعتذار ؟ لا أظن ! ! لاضير عليك أن تتخذ من منزل رجل غريب مسكنا خاصا ! لكن اخبرنى أين عثرت على هذه الثياب الغريبة ؟

فتقدم منه لوبين ببطء . . وهو لا ينى عن تأمل ملامحه بانعام . ثم قال

— علمت انك خارج المدينة . . ولكن يبدو انك عدت مبكرا عن موعدك . . أليس كذلك ؟

فأجاب رب الدار ساخراً : وعلى هذا الاعتقاد احتللت منزلى ابان غيبتى فكرة لا بأس بها على كل حال . . لكن مما يؤسف له انك لم تتمكن من معرفة خططى على وجه الدقة . والا لعرفت أن دواعى عملية هامة استلزمت سرعة عودتى قبل الموعد الذى حددته . . والآن . . هل لك أن تحدثنى كيف استطعت أن تدخل منزلى ؟

فأجاب لوبين بغموض محاذراً التنويه بما يجعل الخدم موضع لوم

— هناك سبل شتى يا سيدى .

فأومأ الآخر برأسه . . وقال : اكبر الظن انك حطمت احدى النوافذ وتسللت منها إلى الداخل . . الديك ما تقوله غير ذلك قبل ان استدعى الخدم وأطلب اليهم استدعاء البوليس

— أرجو أن تذكر لى اسمك . . فانى أحب دائما أن اعرف اسماء

الأشخاص الذين يسمحون لى بالتمتع بضيافتهم

فقال الرجل بسخرية : يا للعجب ! ! اتريد أن تعرف اسمى أيضا ؟! على رسلك . . انه لندساى . . جون لندساى . . هل من شيء آخر تسأل عنه ؟

فتقدم لوبين من محدثه قليلا . . ثم جلس فوق مقعد . . وحدد البصر إلى وجه رب الدار . . وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة . . وتألق فى عينيه بريق غريب . . ثم سأل بهدوء :

— يخيل إلى انك لم تقم فى نيويورك طويلا يامستر لندساى ؟

فضحك الآخر ببرود . . وقال باحتقار :

— كلا . . ليس طويلا . . حوالى ستة شهور . . لكن لم تسأل ؟

فقال لوبين بصوت متهدج : انه الفضول ياسيدى . . ! أكبر الظن انك جمعت ثروتك فى مكان آخر ثم نزحت إلى نيويورك لتمتع بالحياة واطايبها ؟

— يجوز ! ! هل أرضيت فضولك ؟ فابتسم لوبين ابتسامة خبيثة ثم غمغم : ستة شهور ؟ ! من عجب اننا لم نلتق أثناء هذه المدة . . لكن نيويورك مدينة كبيرة على كل حال . ولعل هذا سبب عدم لقائنا

ولماذا نلتقى ؟ ! فهز لوبين كتفيه . بينما شدد رب الدار الضغط قليلا على زناد المسدس وأطال لوبين النظر إلى المسدس. وقال

— لحظة أخرى . . لدى سؤال آخر قبل أن تستدعى البوليس .

ومال فوق المنضدة الموضوعة أمامه . . وقد تألقت عيناه ببريق أحد من السيف . . ثم قال بصوت عميق :

— اظن ان اسمك لم يكن دائما جون لندساى . . اليس كذلك ؟

فأجفل الآخر . . وصاح مشدوها : ماذا تقول ؟

ومال فوق المنضدة . . وحدق فى وجه هذا الدخيل . . واخيرا غمغم

— اية حماقة هذه ؟ فاعتدل لوبين فى مجلسه قليلا . . ثم قال

— انها دنيا صغيرة على كل حال . . ولكنها كثيرة المفارقات . من عجب ان يتفق حضورى الى منزلك الليلة يالندساى . فهناك الوف المنازل فى نيويورك ، ولكن يد القدر هى التى هدتنى إلى هذا المنزل لكى التقى بك

فانتفض لندساى . . ولزم الصمت . . واستطرد لوبين :

— نعم انها دنيا صغيرة عجيبة . . الا تظن ذلك يامستر جون لندساى .

وانفجر ضاحكا . . ولكنها كانت ضحكة مخيفة ، لم تنفرج شفتاه عن مثلها من قبل وأردف : لكن هذا لم يكن اسمك دائما . فمنذ سنوات بعيدة لعلها عشر او اثنتا عشرة عندما كنت تقيم فى مكان بعيد جدا عن هنا . . كان لك اسم آخر !

ولم يجب لندساى ايضا . . ولكن الانقلاب الذى طرأ على سحنته كان مفزعاً . . غاض الدم من وجهه . . وتخاذلت ساقاه وبدا كأنه يوشك على السقوط . . وقرب لوبين وجهه من وجه رب الدار حتى كاد يلصقه به . . ثم سأله برفق : الاتعرفنى يافانس ستيلمان ؟

فشهق الرجل شهقة قوية . . وقبل أن يتمكن من الحركة كان لوبين قد مد يده ، وانتزع منه المسدس . . ولكن الرجل لم يعبأ بذلك ، أولعله لم يفطن اليه . . اذ مالبث ان غمغم فى اعياء وهمس : من . . من انت ؟

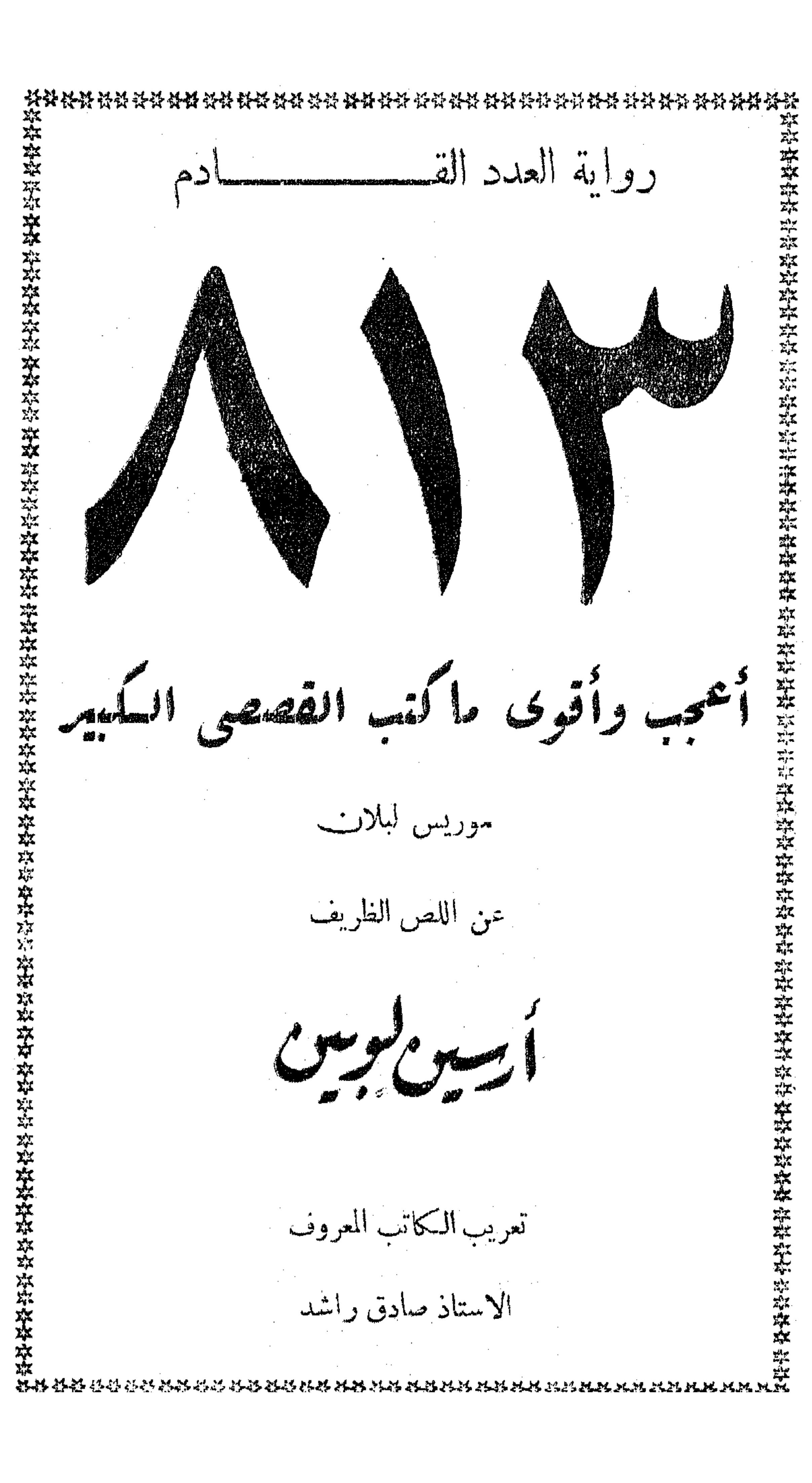
فضحك ديل . . وادار للرجل ظهره . . وعندما واجهه ثانية كان قد انتزع الشعر المستعار وازال علامات التنكر عن وجهه . . ثم سأل : هل تعرفنى الآن ؟ وما كاد الرجل يرى وجهه . حتى زفر زفرة حرى . . وغمغم بصوت اجش :

— انت ؟ ! انت ؟ ! فضحك لوبين ضحكة رقيقة . . وراح يعبث بالمسدس الذى انتزعه منه . دون ان تفارق عيناه وجهه

واخيرا قال ستيلمان باعياء : ظننت . . ظننت انك ميت ! ! انى لم اسمع عنك منذ . . منذ اختفيت عن العيون . . فأومأ لوبين برأسه .. وقال :

— لقد ماتت روحى وواريتها فى السجن الذى القيت بى فى غياهبه ياستيلمان . . واما جسمى فيبقى حيا كما ترى حقا ، لقد كانت احبولة مدهشة ياعزيزى تلك التى استطعت بها ان تقذف بى الى السجن لا كفر عن جريمتك وكأنما دب النشاط فى جسم ستيلمان فجأة ، وراح يسيطر على أعصابه شيئا فشيئا ونظر الى لوبين فى شىء من التحدى

واستطرد هذا : حقا ، لقد كنت شديد الذكاء ياستيلمان ، سخرت منى واستطعت أن تظفر بكل شىء ، والواقع اننى مازلت حتى اليوم أجهل


رواية العدد القـــــــادم
٨١٣
أعجب وأقوى ما كتب القصصي الكبير
موريس لبلان
عن اللص الظريف
أرسين لوبين
تعريب الكاتب المعروف
الاستاذ صادق راشد

كيف استطعت ان تنفذ خطتك بتلك المهارة النادرة

وللمرة الأولى تـكلم ستيلمان ، قال بهدوء عجيب :

— كنت مضطرا الى ذلك يالوبين ، ان غريزة المحافظة على النفس أول قوانين الطبيعة ، هل اقتحمت منزلى الليـلة لـكى تنبش الماضى من قبره ؟

— كلا .. لم يخطر ببالى شيء من ذلك ، إنما هى الأقدار ! !

فحدق ستيلمان فى وجهه مرتابا ، وصاح :

— الأقدار ؟ ! حسنا ! مادمنا قد التقينا فخير لنا ان نتفاهم ، أقول لك الحق اننى لم أكن هاجع الضمير من ناحية تصرفى حيالك ، فلو عرفت انك لاتزال حيا ترزق لسعيت اليك لأصلح ما أفسدت ، ومع ذلك فأنا على أتم استعداد لأن أفعل ذلك فى التو واللحظة — وكيف ؟ !

— حسنا ، لقد جمعت ثروة ضخمة ، لايسعنى ان أنـكر ان لك فيها نصيبا ، لـكن حذار أن تطمع ، فأنت تعلم انك لاتملك دليلا واحداً على اثبات تهمة شهادة الزور على ، ان ماسأفعله ، سأفعله بمحض اختيارى ، فاذا كنت قد جئت للاحتيال ، فقـد اخطأت فى زعمك ، كم تعتقد يكفيك ثمنا لما لاقيت من عذاب وآلام ؟

فابتسم لوبين ابتسامة مبهمة ، وهز رأسه سلبا ، وقال

— انك ، برغم دهائك ، مازلت قصير النظر ياستيلمان ، لست بحاجة الى المال ، فعندى منه مالا أكاد أعرف كيف أنفقه

فحدق ستيلمان فى وجهه غير مصدق وصاح : ماذا تقول ؟ إذن لماذا جئت ؟

فابتسم ثانية ، ونظر الى ستيلمان نظرة جعلت الدم يجمد فى عروقه

وصاح رب الدار : لماذا .. ؟ لماذا تنظر الى هـكذا ؟

فاجابه ، وهو ينبعث واقفا ويدور حول المنضدة : ألا تستطيع أن تتكهن ؟

وتراجع ستيلمان الى الخلف مذعورا ، فظل ديل يتقدم منه خطوة فخطوة وعيناه تقدحان شرر الغضب ، حتى التصق ستيلمان بالجدار

وقال لوبين محذرا : لافائدة من الاستغاثة ، فان فعلت عجلت بنهايتك

فصاح الرجل بفزع : هل .. هل ستقتلنى ؟

وتأمل لوبين المسدس ، ثم قال وهو يقذف به الى الأرض :

— نعم . . ولكن ليس بهذا ! ! فان الموت بالرصاص سريع غير مؤلم ستموت موتاً بطيئا ياستيلمان . انى لاأزال أذكر الآلام والأهوال التى قاسيتها بسببك ، فلا أقل اذن من أن تذوق بعضها تكفيراً عن جناياتك .. سوف ترى الموت بعينيك، وتحسه وهو يسرى فى أعضائك ولا تستطيع دفعه عنك .

فصرخ ستيلمان صرخة مختنقة ، ووثب جانبا . ولكنه اصطدم بالمقعد فسقط محدثا جلبة شديدة . فضحك لوبين ضحكة هادئة . ولكنها مخيفة

ووثب ستيلمان مرة أخرى الى الخلف . والتقط مقعداً آخر . وقذف به غريمه فى يأس ، ولكن هذا استطاع أن يتجنبه بسهولة . فاصطدم المقعد بالجدار ونجم عن ذلك صوت يصم الآذان وفى اللحظة التالية انقض عليه لوبين ، وطرحه أرضا ، ثم أطبق بيديه على عنقه . .

وعندئذ طرق الباب طرقاً عنيفا . ولكن لوبين لم يسمع شيئا . استولت عليه نوبة من الجنون .. جنون الثأر ، فراح يضغط عنق عدوه بوحشية . . وكلما بدرت من الرجل بادرة تدل على المقاومة زاد الضغط على عنقه . وكان نفسه يتردد فى أنات وزفرات.

وبدأ وجه ستيلمان يحتقن . وعيناه تجحظان حتى حاكتا لون الدم . وراح لوبين يراقبه ، وقد أحس بنشوة عجيبة ! لا تعدلها نشوة أشد المسكرات

وفجأة . انتفض . ما كاد يرى وجه ضحيته حتى اشمأزت نفسه . وبدأت أصابعه تخفف الضغط عن عنقه . وتأوه . ونهض واقفاً على قدميه

وكان الطرق قد اشتد . ولكن ضربات قلبه كانت ذات صوت طغى على صوت القرع . .

وتهالك على أقرب مقعد تتنازعه قوتان . قوة الشر ، وقوة الخير

وغمغم فى اعياء : لاريب اننى كنت مجنونا

ونظر الى ستيلمان نظرة تأمل . وما كاد يرى صدره يعلو ويهبط ببطء وضعف حتى تنفس الصعداء . وركع أمامه، وتحسس نبضه . فألفاه ضعيفاً غير منتظم . ولكنه مالبث ان أخذ يقوى . دلالة على زوال الأزمة . فشعر بارتياح

واستجمع قواه ، وحمل ستيلمان الى الفراش ، ومدده فوقه . ثم فتح نوافذ الغرفة . ووقف جانبا يراقبه . فلما راى الدم يصعد الى وجهه . .

انفرجت أساريره . وتنهد الصعداء
سره انه لم يرتكب جريمة قتل ! !

وفى تلك اللحظة فقط تنبه لطرق الباب . فمشى اليه وفتحه بهدوء . . وعندئذ رأى كورا ستودارد تنظر اليه بلهفة وقلق

(الخاتمة)

سألت الفتاة وهى لاتزال خارج الغرفة :

— ما معنى هذه الجلبة ياسيدى ؟

فحدق لوبين فى وجهها الفتان مشدوها ، ولكنه لم يجد جواباً مقنعا يجيب به عن سؤالها فلزم الصمت . .

فاستطردت الفتاة بانفعال : لم استطع النوم .. خيل الى ان شيئا . .

وتوقفت عن الكلام . وحاولت أن تطل داخل الغرفة .. ولكنه اعترض سبيلها . وقال : لقد عاد أبوك الى المنزل على غير ترقب

فشهقت الفتاة . وقالت : أبى ؟ ! اذن فانت تعرف ؟

— لقد تكهنت بالحقيقة . الآن فقط . . . لماذا قلت لى أن اسمك كورا ستودارد ؟

— اوه ! لم أجد ما يحملنى على ان أنبئك باسمى الحقيقى فى حفلة رقص تنكريه تقوم على التضليل . وفوق ذلك كان لدى من الأسباب مايحملنى على الا أجعلك تعرف اسمى . فقد خشيت ان أنا صارحتك ، ان تفسد خطتى . . كنت أعتقد أنك ستكون فى أمان هنا فى الوقت الحاضر . . ان الخدم شديدو الاخلاص لى . . وقد طلبت الى سائق السيارة ان يأتى بك الى هنا ، كما طلبت الى الخادم الا يتحدث اليك بشىء . . ثم جئت فى أثرك فى سيارة احدى صديقاتى . . بالطبع لم يكن يخطر ببالى ان أبى سيعود الليلة . . ولم أكن أود أن ترانى . . فقد كانت خطتى تقضى بان اعتصم بغرفتى حتى يحين الوقت المناسب لانصرافك . . لكن هذه الضوضاء أرغمتنى على الخروج . . فهل لك أن تخبرنى عما حدث ؟

فقال ديل بصوت خافت : لا شىء يستوجب فزعك . . ان أباك بخير .

اذن فقد كنت انت منقذتى . . دعنى أقدم لك شكرى إذن

وحول بصره الى الفراش حيث كان ستيلمان يتململ باضطراب .. ثم عاد فاشار الى الفتاة ان تتراجع فى الدهليز ، وسألها : لماذا أنقذتنى ؟

فقالت بصوت خافت : لأننى عرفت كل شىء عن الماضى . . وكيف أساء أبى اليك عندما . . .

فقاطعها برفق : لا حاجة بنا للخوض فى هذا الموضوع

— بل يجب أن نتحدث فيه . . لا تسألنى كيف عرفت بهذا الماضى ، لأنه يحتاج الى اسهاب وشرح مستفيض.. لقد عرفت منذ زمن بعيد ان ابى اقترف اثما لا يغتفر حيال شخص معين . . ومع ذلك فانى أحب أبى حبا عميقاً ، فكل انسان فى الوجود معرض للخطأ . . ولكن . .

وشدت قامتها فى كبرياء . . ثم استطردت :

— وفكرت كثيراً فيما علمته عن أبى . . وكنت أبدا أتساءل : أما من سبيل لاصلاح الخطأ ؟ ! بالطبع لم أكن أملك وسيلة للعثور على الضحية .. وأنا لا أدرى ان كان حيا يرزق يعيش فى جهة نائية تحت اسم مستعار أو قضى نحبه .. فلما طالعت فى الصحف عن مغامرات أرسين لوبين وسمعت اشاعات مؤداها انه كان ضحية خطأ البوليس ، وانه وقف حياته على الثأر ، قويت ريبتى فى أن يكون هو الشخص الذى أساء اليه أبى . . ومن ثم قررت البحث عن الحقيقة . . فلما نزح أبى إلى نيويورك منذ عدة شهور حزمت أمرى على لقاء أرسين لوبين فرحت أتردد على جميع الحفلات التى يحتمل أن يذهب اليها .. الى أن حالفنى الحظ الليلة وعثرت عليك

فابتسم لوبين . . وقال :

— انك مدينة بنجاحك الى اهمالى . .

مهما يكن .. فقد عثرت عليك .. وأحسب انى عاجزة عن وصف سرورى لهذا .. فقد كنت أتلهف دائما على ان أجعلك ترى مقدار الشطط الذى ترتكبه بمغامراتك المحفوفة بالمكاره .. انك تضيع حياتك هباء . . صحيح ان بعض اللوم قد يقع على بوصفى ابنة الرجل الذى أساء اليك

اساءة لاتغتفر .. ولكنى أردت أن أكفر عن هذه السيئة باصلاح ماافسد ووضع الأمور فى نصابها .. ولا اكتمك ان أبى كان يتندم أبداً على مافعل ولو انه لم يصارحنى بذلك قط .. وهـــذا مادعانى إلى أن أطلب اليك إعادة جواهر مسز بيتى إلى الخزانة .. ومساعدتك فى الفرار من مفتش البوليس، فهل فهمت ؟

نطقت الفتاة بالشطر الأخير من حديثها بصوت عميق متهدج فتأثر ديل وغمغم :

— يالك من فتاة مدهشة ! !

— لاتقل ذلك .. اننى واثقة من انك تكرهنى كما تكره ابى .. ولك عذرك فى هذا .. فتلك سنة الطبيعة ، أن تكره أعداءك وما ينجبون .

فقال لوبين ببساطة : ولكنى لا أكرهك ..

وتذكر ما حدث فى الغرفة .. وكيف كاد يقضى على ستيامان فانتفض .. وقال : إنك لاتدركين كم أنا تعس لو عرفت ما حدث فى هذه الغرفة منذ هنيهة لا نقلب شعورك رأسا على عقب

فغمغمت فى هدوء عجيب : فى استطاعتى ان أتكهن .. بل اظن أنى فهمت .. لقد انتصرت ناحية الخير فيك فى الوقت المناسب .. وما لم أكن مخطئة فقد عثر أرسين لوبين على روحه فى هذه الغرفة

— الروح التى دفنت تحت ثلوج العام الماضى!

فأومأت برأسها فى ابتهاج .. وعندئذ حك لوبين ذقنه بيـــده وقال : ان جواهر بيتى تحت الحشية .. فأعيديها إلى صاحبتها .. مشفوعة باعتذار أرسين لوبين

فقالت بلهفة : عدنى ان تقلع عن هذا الطريق الخطر يالوبين

فأطرق لوبين رأسه هنيهة .. ثم غمغم فى قنوط :

— لقد ماتت روح أرسين لوبين .. ومن العبث ان تبعث من جديد !

(تمت)